www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com
محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الخامسة | 15 أيلول 2019

زيتون

العدد :196

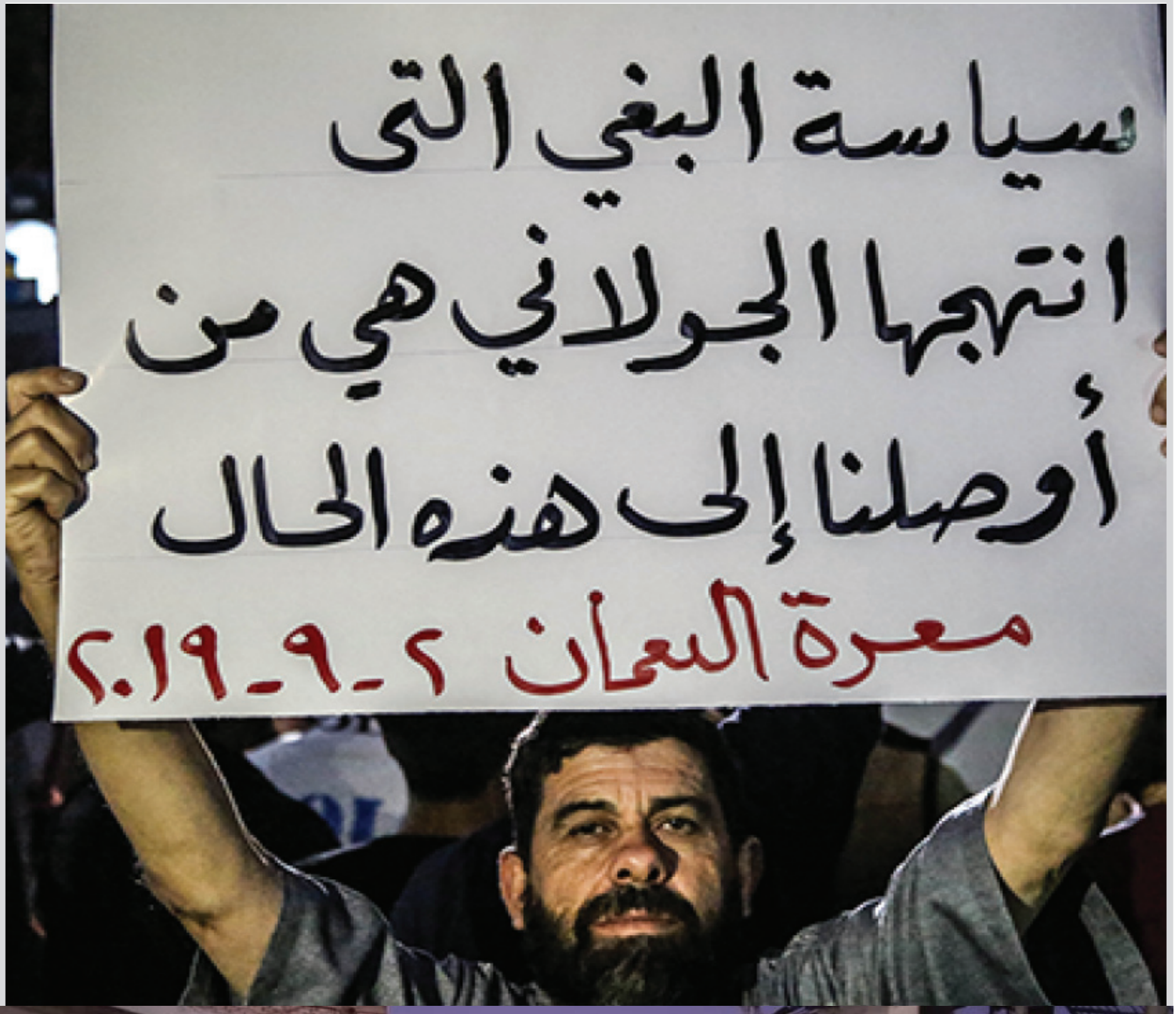

التظاهرات المطالبة بإسقاط «النصرة» تعمّ إدلب وحضورٌ لافت لعلم الثورة

تشهد مدن الريف الإدلبي مظاهرات شعبية عارمة ضد "هيئة تحرير الشام- النصرة" وقائدها "أبو محمد الجولاني"، لليوم الثاني على التوالي، في كل من معرة النعمان وكللي وسراقب وأريحا وبلدة كفر تخاريم.

ورفع المتظاهرون علم الثورة السورية مطالبين بإسقاط نظام الأسد و"هيئة تحرير الشام" ورفع يدها عن أهالي المحافظة والنازحين والفصائل الثورية.

وانضمّ أهالي مدينة الأتارب في ريف حلب الغربي، إلى التظاهرات السلمية التي غمرت مدن إدلب مساء اليوم الاثنين، وجابت شوارعها، لتعيد إلى الثورة ألقها الأول الذي طمسه ظلام متشدّدي النصرة وتسليمهم المدن المحررة لقوات النظام والروس.

المظاهرات المطالبة بإسقاط "النصرة" كانت قد انطلقت شرارتها عقب صلاة الجمعة، ٣٠ آب/ أغسطس، ردّاً على قمع عناصر الأخيرة للأهالي أثناء اعتصامهم واقتحامهم لمعبر باب الهوى الحدودي مع تركيا، احتجاجاً على الهجمة الروسية وتدميرها لمدنهم وتهجيرهم منها.

وبلغت التظاهرات أوجها مساء البارحة الأحد في مدينة سراقب التي نالت النصيب الأكبر من القصف عشية إعلان وقف إطلاق النار الذي نفّذه الروس وقوات الأسد صباح أول أمس السبت.

ودعا ناشطون في مختلف مدن وبلدات المحافظة إلى المضي قدماً بالتظاهرات السلمية إلى أن تستجيب "هيئة تحرير الشام" لمطالب الثوار وتعلن عن حلّ نفسها.

بعد تفريقها لمتظاهرين في عنجارة: عناصر "تحرير الشام" تهتف للجولاني!

أقدمت عناصر أمنية تابعة لـ "هيئة تحرير الشام" على فضّ مظاهرة ليلية، اليوم الثلاثاء، نفّذها أهالي بلدة "عنجارة" التابعة لريف حلب الغربي.

نظام الأسد و"الجولاني" والمطالبة بحلّ "هيئة تحرير الشام" حين أقدم ملثمون من عناصر الهيئة وأجبروهم على فضّ التظاهر بقوة السلاح.

وأفاد مصدر من الأهالي بأن الأمنيين خرجوا بعد تفريق المتظاهرين بمسيرة مؤيدة لزعيمهم "الجولاني" هاتفين: "بالروح بالدم نفديك جولاني".

وشهدت عدة مدن في الريف الإدلبي مظاهرات شعبية عارمة ضد "هيئة تحرير الشام- النصرة" وقائدها "أبو محمد الجولاني"، لليوم الثاني على التوالي، في كل من معرة النعمان وكللي وسراقب وأريحا وبلدة كفر تخاريم.

ورفع المتظاهرون علم الثورة السورية مطالبين بإسقاط نظام الأسد و"هيئة تحرير الشام" ورفع يدها عن أهالي المحافظة والنازحين والفصائل الثورية.

وانضمّ أهالي مدينة الأتارب في ريف حلب الغربي، إلى التظاهرات السلمية التي غمرت مدن إدلب مساء الاثنين، وجابت شوارعها، لتعيد إلى الثورة ألقها الأول الذي طمسه ظلام متشدّدي النصرة وتسليمهم المدن المحررة لقوات النظام والروس.

المظاهرات المطالبة بإسقاط "النصرة" كانت قد انطلقت شرارتها عقب صلاة الجمعة، ٣٠ آب/ أغسطس، ردّاً على قمع عناصر الأخيرة للأهالي أثناء اعتصامهم واقتحامهم لمعبر باب الهوى الحدودي مع تركيا، احتجاجاً على الهجمة الروسية وتدميرها لمدنهم وتهجيرهم منها.

وبلغت التظاهرات أوجها مساء البارحة الأحد في مدينة سراقب التي نالت النصيب الأكبر من القصف عشية إعلان وقف إطلاق النار الذي نفّذه الروس وقوات الأسد.

وكان ناشطون قد دعوا الأهالي في مدن وبلدات المحافظة إلى المضي قدماً بالتظاهرات السلمية إلى أن تستجيب "هيئة تحرير الشام" لمطالب الثوار وتعلن عن حلّ نفسها.

الكشف عن هوية مرتكبي تفجير إعزاز وعرض صورهما

كشفت الفرقة ٥١ التابعة للجيش الوطني السوري، عبر بيان لها، عن هوية مرتكبيّ تفجير الدراجة النارية وسط أحد أسواق مدينة إعزاز في وقت سابق من هذا اليوم، الثلاثاء، بعد القبض عليهما.

كما نشرت الشرطة الحرة في المدينة صوراً لكلّ من "أحمد الكريط" من قرية "المقري" و"إسماعيل الشحادة" من دير حافر، وهما يسيران في منطقة الانفجار قبيل حدوثه، والذي أودى بحياة شخصٍ مدنيّ على الأقل وإصابة أكثر من ١٥ آخرين.

وكانت مدينتا إعزاز والراعي، التابعتين لمنطقة درع الفرات في شمال حلب، قد تعرضتا لسلسة انفجارات نجم عنها سقوط العديد من المدنيين بين قتيل وجريح قبل أن تتمكن الشرطة المحلية من اكتشاف دراجة مفخخة أخرى وتفجيرها عن بعد في مدينة الراعي.

كما رصد الجيش الوطني سيارة مفخخة قادمة من مناطق سيطرة "قسد" في شرق حلب، وتمكّن من تفجيرها قبيل وصولها إلى المناطق المأهولة بالمدنيين في مدينة جرابلس.

١٢ شهيدا في تفجير سيارة مفخخة قرب مشفى الراعي

انفجرت سيارة مفخخة بالقرب من مشفى الراعي في ريف حلب مساء اليوم مخلفة عدد من الضحايا.

وقال الدفاع المدني في حلب إن ١٢ مدنيا وعشرات الجرحى سقطوا نتيجة سيارة مفخخة انفجرت بالقرب من مشفى الراعي.

وكان ريف حلب الشمالي والشرقي شهد يوم الثلاثاء الماضي سلسلة تفجيرات ضربت مدن أعزاز والراعي بريف حلب، وأوقعت ضحايا في صفوف المدنيين.

وقال ناشطون إن مدنيا استشهد وأصيب أكثر من ١١ آخرون بجروح حالة بعضهم حرجة، إثر انفجار دراجة نارية مفخخة في السوق التركي وسط مدينة أعزاز بريف حلب الشمالي، حيث عملت فرق الدفاع المدني على نقل المصابين إلى المشافي القريبة لتلقي العلاج.

وأضاف الناشطون أنه بعد التفجير الأول بنحو ساعتين انفجرت دراجة نارية مفخخة قرب مسجد المتيم وسط مدينة أعزاز، ما أدى لجرح ٥ مدنيين في حصيلة أولية جراء الإنفجار.

وأعلنت القوى الأمنية عن القاء القبض على منفذ التفجير في مدينة أعزاز على أحد الحواجز الامنية التابعة للجيش الوطني بعد التعرف عليه عن طريق كاميرات المراقبة.

فيما قامت الشرطة وقوى الأمن الداخلي بتفجير دراجة نارية مفخخة بعد العثور عليها قرب مدرسة طلحة بمدينة الراعي بريف حلب الشرقي.

كما قام الجيش الوطني بتفجير سيارة مفخخة قادمة من مناطق سيطرة وحدات حماية الشعب الكردية شرق حلب، على حاجز "عون الدادات" في ريف جرابلس شرقي حلب قبل وصولها إلى المناطق المأهولة بالمدنيين.

وفي سياق متصل استشهد مدني وأصيب آخرون بجروح، جراء استهداف ميليشيا "قسد" فجر اليوم، بقذائف الهاون مدينة مارع وأطراف مدينة أعزاز وبلدة كلجبرين في ريف حلب الشمالي.

وشهدت مدن وبلدات ريف حلب الشمالي والشرقي في الفترة الماضية عدة تفجيرات استهدفت مدنيين وقياديين ومقاتلين في الجيش الوطني، وتركزت غالبية التفجيرات بالقرب من الأسواق الشعبية والتجمعات المدنية، راح ضحيتها عشرات الشهداء والجرحى.

سندريلا معرة النعمان شهيدة بقصف مدفعي للنظام على المدينة

استشهد ثلاثة مدنيين، وأصيب آخرون بجروح، منتصف ليلة أمس الجمعة، بقصف مدفعي للنظام على ريف إدلب الجنوبي.

وقال مراسل زيتون في إدلب؛ إن قوات النظام قصفت بالمدفعية الثقيلة مدينة معرة النعمان جنوبي إدلب، ما تسبب باستشهاد ثلاثة مدنيين، بينهم الطفلة "إسلام الصدير".

وأضاف مراسلنا؛ أن قوات النظام كثفت من قصفها بعد منتصف الليل على مدن وبلدات "كفرنبل وحاس وكفرومة وكفرسجنة ومعرة حرمة وأرينبة والركايا والشيخ مصطفى" بريف إدلب الجنوبي، دون تسجيل إصابات في صفوف المدنيين.

وأشار مراسلنا إلى أن قوات النظام قصفت بالمدفعية وللمرة الأولى محيط نقطة المراقبة التركية في معرحطاط بالقرب من بلدة حيش، دون ذكر أي معومات عن إصابات في صفوف الجيش التركي.

وكان استشهد مدنيان وأصيب آخرون بجروح، أمس الجمعة، بقصف صاروخي للنظام على مدينة كفرنبل بريف إدلب الجنوبي.

"كي لا تغرق السفينة" فساد كامل في تحرير الشام يفضحه أحد قادتها

نشر القيادي في هيئة تحرير الشام والمسئول العام لكتلة حلب المدينة "أبو العبد أشداء" تسجيلا مصورا بعنوان "كي لا تغرق السفينة" كشف فيه عن فساد في كامل مفاصل هيئة تحرير الشام وعن سبب الخسائر الأخيرة.

قال "أشداء" في تسجيله الذي نشره على قناته في تلغرام أن قيادة الهيئة تنفذ التفاهمات الدولية، وأنها أهملت تحصين منطقة قلعة المضيق وكفرنبودة رغم معرفتها المسبقة بنية النظام الهجوم على المنطقة.

وربط أشداء قرار الهيئة بالقتال والانسحاب بقرار الداعم، مفسرا سقوط مدن وبلدات ريف حماه وإدلب، واصفا الهيئة بحقل تجارب لقيادتها، مع محاربة كل من يعترض أو ينصح لها.

وأشار أشداء إلى سياسة استغباء المشايخ والناس في ما تدعيه من مشاركتهم في القرار والمؤتمرات التي جرت، منوها إلى تسليط دائرة ضيقة قريبة من القيادة على كامل مفاصل العسكرية والأمنية والاقتصادية للمحرر.

كما سخر القيادي من سياسة هيئة تحرير الشام في تولية بضع الأشخاص أكثر من مهمة قائلا: "لا تتعجب أن يكون مسؤول الحدود هو نفسه مسؤول جيش عثمان وهو نفسه مسؤول اللواء الغربي وهو نفسه إداري الجيوش العام بل إداري الجناح العسكري كاملا وهو كذلك النائب الثاني للقائد العسكري".

وتحدث عن سياسة الكرسي الدوار التي تتبعها الهيئة في نقل المسئولين المراد معاقبتهم نتيجة لشكاوى بحقهم قائلا: " طريقة الكرسي الدوار فأمير المعابر يصبح أمير الاقتصادية وأمير الاقتصادية يصبح أميرا للمعابر وهكذا".

وتطرق أشداء إلى الفساد المالي وإرهاق الناس بالضرائب وبالطرق "الحلال والحرام" لجمع المال، موردا أمثلة حول فساد المعابر وما يتقاضونه عناصر الهيئة من إتاوات من اللاجئين ومرافقي المرضى.

وذكر أشداء أن قيادة الهيئة قد زاحمت العامة على رزقها في العمل بالمحروقات، كما قاسمت الفلاح بمحاصيله بعد أخذها للزكاة وإجباره على بيع محصوله لها بسعر قليل لتقوم ببيعه لتاجر ينقله إلى مناطق سيطرة النظام.

كما كشف أشداء عن إمعان قيادة الهيئة بالعمل الأمني حتى على عناصر الهيئة، مشيرا إلى أنه وخلال المعارك الأخيرة قد تم سحب عناصر من الجبهات للعمل في المجال الأمني.

بعض ما جاء في كلمته:

اليوم بعد التطورات الميدانية وبعد تجربة طويلة في الإصلاح من داخل هيئة تحرير الشام بالموعظة الشخصية والنصح لقيادة الهيئة خاصة من وقت معارك شرق السكة إلى اليوم والتي لم تجد أذانا صاغية ولا مبالاة من القيادة من المخاطر المحيطة بالأمة ولخطورة الوضع الأن فهذه رسالة مني كجندي بالهيئة ما زلت على رأس عملي كمسئول عام عن كتلة حلب المدينة وإداري عام لجيش عمر بن الخطاب أوجهها لأهل الحل والعقد ولعموم المسلمين كي لا تغرق السفينة.

لكن تجربة الهيئة بعد قرابة ثلاث سنين من إنشائها يؤكد أنه قد تم تطور ما في الأداء العسكري لكن ظلت النتيجة النهائية مرتبطة بالتفاهمات الإقليمية ولم تستطع الهيئة رغم توفر كل مقومات النجاح لها.

ففي معارك شرق السكة بيعت المنطقة في أستانة ولم تستطع الهيئة بطريقتها التقليدية في إدارة الأزمة بالحفاظ على المنطقة، ثم في المعارك الحالية في كفرنبودة والجبيل وما حولها جاء الداعم فصمدت المنطقة ثم لما جاءت التفاهمات الدولية سقطت الزكاة والأربعين والهبيط ومدايا وتل سكيك وخان شيخون ومورك واللطامنة وكفرزيتا والتمانعة وغير ذلك.

لكن الهيئة بسبب ما سأذكره من تقصيرها لم تستطع الدفاع عن المحرر

أولا:

لم تعد الهيئة مشروع أمة ولا منهج ولا جماعة ولا تيار بل استبد بها أشخاص وحولوها لحقل تجارب شخصية فالشورى عندهم شورى ما أريكم إلا ما أرى وزعمهم أمام الإعلام فماذا تأمرون فأقاموا حكومة ومجالس صورية ومن يخالف رأيهم يتم تهميشه وتسفيه وتخوينه ومحاربته.

وأذكر مثالا واحدا على تلك الشورى الصورية يوم اختيار مجلس الفتوى تم دعوة أكثر من ١٠٠ شيخ لحضور مؤتمر انتخاب مجلس الفتوى فقام كل شيخ من المشايخ الحضور باختيار من يراه وكان الأصل وجود لجنة فرز تعلن النتيجة مباشرة أو بعد يوم أو يومين وقد قال لي أحد المشايخ الحضور لم يحترموا حتى عقولنا فالدول الطاغوتية التي تزور الانتخابات تقوم بإخراج النتيجة المزورة فورا لتكتمل أكذوبة احترام الرأي أما هنا فالمفاجأة أنه بعد أكثر من شهر تم الإعلان عن مجلس فتوى هو عبارة عن اختيار قيادة الهيئة لمن يريدونهم بلا مبالاة بنتيجة الانتخابات التي دعوا إليها.

ثانيا:

لا تزال النظرة السطحية من القيادة للمعركة وعدم إدراك تغيير طبيعة المعركة عند العدو من أهم أسباب ضعف التطوير العسكري فم يتم العمل للتفعيل الحقيقي خلف خطوط العدو كقوة مؤثرة تضرب أرتال العدو وتجمعاته ومقراته ولا صار الردع الصاروخي سلاحا أساسيا في المعركة ولم تهتم القيادة بفتح المحاور المتعددة والإكثار من الإغارات وأهملت التحصين والتمويه الشامل فلم ينفق على ذلك إلا اليسير من دخل الهيئة الكبير جدا وظل التحصين يعتمد على ما يأتي من صدقات المحسنين الفقراء التي تجمعها الحملات الدعوية.

بل إن قيادة الهيئة كانت تعلم قبل شهرين من بدء الحملة على كفرنبودة وقلعة المضيق أن العدو كان سيعمل على ذلك المحور تحديدا ومع ذلك لم تجهز العدة المناسبة لذلك.

ثالثا:

حولت القيادة الهيئة لمملكة خاصة يتحكم فيها أصدقاؤهم وأقرباؤهم وأصهارهم ويسلطونهم على أهم المفاصل الشرعية والأمنية والاقتصادية مع تهميش وإقصاء أصحاب الكفاءات والخبرات وأصبحت الهيئة كيانا طاردا للكفاءات فخرج منها جيش الأحرار وحراس الدين وأنصار التوحيد وكتائب الفتح وأنصار الدين وغيرهم وأصبح أميرها الأول الشيخ أبو الجابر هاشم الشيخ خارجها وشرعيها الأول الشيخ أبو يوسف الحموي خارجها وأصبح الإداري الأول الدكتور أبو عبد الله الشامي خارجها وأصبح أول رئيس حكومة لها الدكتور محمد الشيخ بعيدا عنها وأصبح أول مقر للمؤتمر العام وأول مؤسس للمقاومة الشعبية الدكتور فاروق كشكش متجنبا لها وخرج منها كذلك الكثير من الشرعيين والكوادر كالشيخ أبو محمد الصادق والشيخ عبد الرزاق المهدي والشيخ أبو اليقظان والمحيسني وأبو شعيب وأبو مصلح العلياني والبدراوي والكثير غيرهم.

ولا تقبل القيادة إلا بالولاء التام لأشخاصهم وطريقتهم في الإدارة عند ورود شكوى على أحد القادة المحسوبين عليهم هي طريقة الكرسي الدوار فأمير المعابر يصبح أمير الاقتصادية وأمير الاقتصادية يصبح أميرا للمعابر وهكذا.

ولا بأس أن يتسلم الموالي للقيادة حتى لو كان غير كفء عشرة مناصب فيكون عضو بالشورى والمجلس الشرعي ومجلس الإفتاء والمتابعة والقضاء والأوقاف ويدرس بالجامعة ويحمل أربع ملفات أخرى غامضة.

ذلك لا تتعجب أن يكون مسؤول الحدود هو نفسه مسؤول جيش عثمان وهو نفسه مسؤول اللواء الغربي وهو نفسه إداري الجيوش العام بل إداري الجناح العسكري كاملا وهو كذلك النائب الثاني للقائد العسكري.

ولم يتوقف الفشل الذي نتج عن قيادة الهيئة عن تطفيش الكوادر والكيانات بل أصبح كيان الهيئة ينكمش ويتناقص مع الأيام بل وقل فيها كثيرا أبناء المناطق المحررة إدلب وريفها وريف حلب وريف الساحل وقد جلست أثناء الحملة مع أبناء إحدى القرى فقالوا لي كنا مع الهيئة سبعين مجاهدا من قدامى المجاهدين وقد أصبحنا الأن مجوعة واحدة فقد ترك لنا أكثر من خمسين أخ مجاهد بسبب ضعف المنح وفقر المجاهدين بل أصبح أكثر عناصر الهيئة حاليا هم من المهجرين وهذا يعني الضعف الشديد في الحاضنة الذي يهدد بانهيار الهيئة عند تناقص أعداد المهجرين بسبب الاستشهاد والجراحات وبسبب خروج بعضهم من الهيئة لما رأوه من تقصير في حقوقهم بل وبلغ التقصير في حقوق الناس أنه ومنذ بدء الحملة العسكرية على إدلب منذ أربعة شهور حملة حقيقية لتشجيع الناس على الجهاد إلا منذ أيام قليلة بحملة جاهد بنفسك بعد ضغط عدد من الأفاضل على أقامة هذه الحملة.

بل وفي أثناء الحملة الشرسة من كان من مجاهدي الهيئة وتركها لأي سبب ثم أراد العودة لصفوفها والمشاركة في القتال تم تعقيد إجراءات رجوعه وتشكيل لجان فحص انتهت إلى عدم قبول أكثر من ثلثي تلك الأعداد ورفض مشاركتهم في الجهاد في الوقت الذي كنا بأشد الحاجة لهم.

رابعا:

الفساد المالي فالهيئة بما جمعته من خيرات المحرر وبالمائة مليون دولار التي وصلتها أول تشكيلها قد تكون من أغنى الكيانات التي مرت على تاريخ الحركات الإسلامية منذ قرن من الزمن.

وكان الأصل أنه طالما تم الاستحواذ على موارد المحرر ومعابره وشرطته وقضائه فعلى الهيئة أيضا أن تتكفل بكل احتياجات ثغور رباطات المحرر سواء رابط جنود الهيئة في تلك الثغور أو رابط غيرهم من الفصائل فهذه الفصائل نواب عن الهيئة في رباطهم لأنها هي من تتحمل المسؤولية عن المحرر ولكن هذا لم يحدث فلا تشغل الهيئة إلا ربع رباط الهيئة تقريبا مع تقصيرها في تغطية احتياجات هذا الربع كذلك وظلت الهيئة نفسها من أفقر الفصائل وظل جنودها من أفقر الناس وتم كنز الكثير من تلك الأموال وجعلوا الكلام في موضوع المال وحقوق المجاهدين خطا احمر يحارب من تكلم فيه وكان وما زال التقتير على المجاهدين والقطاعات والمفاصل والجيوش والألوية هو السياسة العامة الذي يحارب فيها الإبداع والتطوير فأينما ذهبت إلى أي مفصل من الهيئة تجد قلة من المال وفي كل مرة تزعم الهيئة أنهم ينفقون الأموال في مجالات مختلفة ويتبين مع الأيام عدم صدق ذلك فأين تذهب تلك الأموال.

أين تذهب تلك الأموال إذا لم ينفق المال في السلاح وعلى المجاهدين وعند الملاحم وفي صد الحملات الروسية فمتى ينفق؟

إن دخل الهيئة الشهري حاليا يكفي لكل المرابطين في كل ثغور إدلب من كل الفصائل مع اللوازم الإدارية لكل رباط المحرر ولمضاعفة قوات الهجوم عدة أضعاف ويكفي كذلك لكفاية الحكومة بما فيها من قضاء وشرطة وأمن لو وضعت تلك الأموال في أيدي أمينة.

ومثالا على ذلك لو كان عندنا ١٥٠ نقطة رباط في كل نقطة ٨ أخوة مرابطين يوميا يعني ١٢٠٠ مرابط يوميا لو أعطينا كل منهم ٤ ألاف يوميا فهذا يعني انه يكلفنا بالشهر ٢٢٥ ألف دولار وهكذا يأخذ من يرابط عشرين يوما ٨٠ ألفا.

ولو قلنا أن المبلغ الذي يأتي للعسكريين ٦٥٠ ألف دولار أي ٥٪ من دخل الهيئة الشهري وقد ترك الكثير من أبطال الجهاد بسبب عدم توفر ابسط إمكانيات المعيشة في الوقت الذي يعمل في بعض المعابر والمفاصل ١٥٠ دولار ومنهم من يأخذ أكثر من ٢٥٠ دولار أما المرابطون والجيوش فالمائة دولار هي حلم بالنسبة لهم.

ومما يدل على عدم العناية بالمجاهدين أن مصادرات حركة نور الدين الزنكي بلغت أكثر من عشرة مليون دولار أكثر من ١٠٠ ألف آلية ومستودعات من الذخيرة والأدوية وكلها كنزت ولم يعطى حتى ديات القتلى من المدنيين الذين قتلوا بالخطأ بل حتى الأخوة الذين تأذوا من الزنكي واخذ الزنكي منهم أموالهم وبيوتهم لأنهم يعملون مع الهيئة لم يتم تعويضهم.

رغم أن قيادة الهيئة قد وعدت بتعويض المتضررين ومكافأة المشاركين ولكن لان المجاهد ليس له أي اهتمام عندهم فاثروا كنز الأموال وتركوا المجاهدين فقراء.

خامسا:

أصبحت عناية قيادة الهيئة في جمع المكوس وجباية الضرائب وأخذ الزكاة والسيطرة على الممتلكات العامة واحتكار التجارات ومصادرة الكثير من دخل المنظمات، فالأصل عندهم أننا في مرحلة ضعف وتدرج فيما يتعلق في إقامة الحدود وتغير مناهج العلمانية وضبط العلاقات السياسية أما إن تعلق الأمر بالمال فنحن ممكنون ويجب جمع تلك الأموال فورا وبأضعاف مضاعفة وبالطرق الحلال وأحيانا بالطرق الحرام كما تعاملوا مع مهربي الدخان فترة من الزمن وعندما فضح الأمر توقفوا، وكمنع مرافق المريض من السفر مع المريض لتركيا وإذا دفع المرافق ٢٥٠٠ دولار سفروه كمرافق لمريض أخر.

سادسا:

محاربة الشعب في قوته واذكر أمثلة لذلك:

كان هناك قرابة ١٠٠ ألف شخص يعملون في مجال المحروقات بين استيراد لها من مناطق أخرى وتكرير وتخزين وبيع فاحتكرت القيادة المحروقات وأنشأت بأموال الجهاد الكثير من محطات بيع المحروقات فتضرر أكثر الناس وقعدوا بلا عمل.

وبعد أن أخذوا زكاة القمح من المزارعين أجبروهم على بيع المحصول لهم بسعر قليل ومنعوهم من تصديره ثم باعوا القمح بمزاد لتاجر واحد ليصدره للنظام وقاسموا بذلك الفلاح في عمله حيث أن ربحهم يعادل أو يزيد عن ربح الفلاح دون أن يبذلوا أي جهد.

وكذلك احتكروا استيراد أكثر البضائع لصالح طائفة محددة من التجار مما يوقع الخسارات على الكثيرين والغلاء على الشعب.

كما قاسموا الفقراء أرزاقهم فحصلوا على نسب كبيرة مما يأتي من المنظمات عبر المعابر وما يصل منه لمجالس الأحياء تأخذ منه الهيئة كثيرا كذلك.

سابعا

تم تكثيف العمل الأمني المتعلق بكتابة التقارير حتى عن مجاهدي الهيئة ومدى قناعتهم بشخصية القيادة وهل هذا الشخص ينقاد تماما أم انه قد يناقش ويفكر وتصنيفهم بناء على ذلك وتم سحب الكثير من المجاهدين وقت هذه المعركة من المفصل العسكري الى المفصل الأمني.

وباختصار فقد ظلمت قيادة الهيئة الجهاد فلم تقم بواجبها بالإعداد والتخطيط والاستفادة من المقدرات والكوادر وظلمت المجاهدين فلم تجهزهم وقت المعارك بالعدة المناسبة وظلمت الأمة فتسلطت عليها وأهملت الشورى الواجبة ولم تقم بواجب الدفاع الأكمل عن عامة ثغورها.

أولى تداعيات صفعة أشداء للجولاني تبدأ بإقالته وإحالته إلى محكمة

أقالت هيئة تحرير الشام القيادي والإداري العام في جيش عمر بن الخطاب "أبو العبد أشداء" اليوم الثلاثاء، بعد ساعات من كلمة مصورة فضح فيها فساد هيئة تحرير الشام.

ونشرت هيئة تحرير الشام بيانا جاء فيه، "نظرا لما تضمنته مرئية الأخ أبي العبد أشداء من تدليس وافتراء وكلام لا يخدم إلا أعداء الأمة ودعوة إلى شق صف المجاهدين، فإننا نقرر إعفاء أبي العبد أشداء من كافة المهام الموكلة إليه، وإحالته إلى القضاء العسكري".

ويأتي قرار قيادة هيئة تحرير الشام متوقعا بعد ما نشره أشداء من معلومات تفضح سياسة قيادة الهيئة في استغلال أهالي المناطق التي تسيطر عليها وابتزازهم بالقوة.

وكان أبو العبد أشداء نشر قبل ساعات، كلمة مرئية تحت عنوان "كي لا تغرق السفينة"، فضح فيها الموارد المالية التي تتلقاها الهيئة وتغاضيها عن دعم مقاتليها المرابطين على حساب جهازها الأمني، وعلمها بهجوم قوات النظام على مناطق ريفي حماة وإدلب قبل شهرين من حدوثها، دون تحريك ساكن حول الأمر.

وانتقد أشداء في كلمته سعي هيئة تحرير الشام الحثيث عبر مؤسساتها المدنية الرديفة لجمع الضرائب واحتكار تجارة المحروقات واستيراد البضائع لصالح تجار موالين لها، وتعزيز المفصل الأمني على حساب المفصل العسكري وسحب مئات العناصر من المفصل العسكري لرفد المفصل الأمني، وتنصل مؤسسات الهيئة من القيام بواجباتها تجاه موجات النزوح على الرغم من ميزانيتها المالية الضخمة، بل فاقمت من أزمتهم وأصبحت تحاصص المحرر على ما يرد إلى المهجرين من مواد إغاثية ومشاريع عن طريق المنظمات الإنسانية.

وتواجه هيئة تحرير الشام في الوقت الحالي عدد من المظاهرات الرافضة لوجودها ومطالبة بإسقاطها، حيث شهدت مدن سراقب ومعرة النعمان والأتارب وعنجارة ومناطق أخرى عدة مظاهرات شعبية خلال الأسبوع الماضي، طالبت بإسقاط هيئة تحرير الشام وزعيمها "الجولاني".

يذكر أن أبو العبد أشداء هو لقب "عبد المعين محمد كحّال" المسئول العام لكتلة حلب المدينة والإداري العام في جيش عمر بن الخطاب في هيئة تحرير الشام من مواليد مدينة حلب 1986 إلتحق بهيئة تحرير الشام بعد انشقاقه عن حركة أحرار الشام الإسلامية.

"تحرير الشام" تعتقل الإعلامي أحمد رحال في إدلب

أقدمت قوة أمنية تابعة لـ "هيئة تحرير الشام" على اقتحام منزل الناشط الإعلامي "أحمد رحال"، وقامت باعتقاله تحت تهديد السلاح، ومصادرة جميع معداته الإعلامية.

وأفاد ناشطون أن قوة أمنية تابعة لهيئة تحرير الشام قامت اليوم الأربعاء، باقتحام منزل رحال دون مراعاة أي حرمة لمنزله ودون سابق إنذار، كما قامت بمصادرة معداته الإعلامية، واقتياده إلى أحد المراكز الأمنية التابعة للهيئة.

وأضاف الناشطون أن القوة الأمنية أشهرت السلاح في وجه زوجة "رحال" التي حاولت منعهم من اعتقاله.

ويأتي احتجاز الناشط الرحال على خلفية نشره لفيديو القيادي "أبو العبد أشداء" الذي هاجم فيه ممارسات "هيئة تحرير الشام" وقياداتها، وكشف عن وجود فساد مالي وعسكري فيها.

قيادي في لواء التوحيد يهاجم تحرير الشام بسبب اعتقال الإعلامي رحال

ظهر قائد سرايا الغرباء في لواء التوحيد سابقا والمقرب من الفصائل الجهادية "الأسيف عبد الرحمن"، في مقطع مصور على قناته الشخصية بموقع يوتيوب شرح فيه أسباب اعتقال رحال، وظروف اعتقاله التي خلت من مراعاة حرمة منزله.

وقال عبد الرحمن في التسجيل الذي نشره اليوم الأربعاء، إن اعتقال الناشط الاعلامي "أحمد رحال" كان متوقعا بسبب التهديدات التي تلقاها والموثقة بالصور.

وأضاف أن سبب الاعتقال جاء بعد نشر "رحال" للفيديو الذي ظهر فيه "أبو العبد أشداء"، مستهجنا الطريقة التي تمت فيها عملية الاعتقال، بشهادة والدته وأخوه وجيرانه، حيث اقتحم عناصر القوة الأمنية التابعة لهيئة تحرير الشام منزل "رحال" دون مراعاة لحرمة المنزل وزوجته.

وأشار القيادي إلى أن حادثة اقتحام

المنازل وانتهاك حرماتها تكررت أكثر من مرة، كما حدث مع الدكتورة علا وغيرها الكثيرين، منتقدا هذه التصرفات ومشبها إياها بممارسات مخابرات النظام وأجهزته الأمنية.

ووجه عبد الرحمن رسالة للمقاتلين قائلا: "الأعراض خط أحمر دونها الدماء، ومن ظن أن الساحة كلها معه، نهايته الزوال والدعس تحت الأقدام".

وحذر القيادي من أن القضية ليست مقتصرة على الإعلامي رحال، مشيرا إلى أنه حلقة في سلسلة ستكون طويلة.

وطالب القيادي بالانصاف ومحاسبة المخطئين منوها إلى العناصر المنفلتة من هيئة تحرير الشام والتي قامت باعتقال الرحال، مؤكدا على وجود الكثيرين من الحانقين مثله.

وكانت قوة أمنية تابعة لهيئة تحرير الشام قامت اليوم الأربعاء، باقتحام منزل الإعلامي "أحمد رحال"، دون مراعاة لحرمة منزله، قبل أن تقوم بمصادرة معداته الإعلامية، واقتياده إلى أحد المراكز الأمنية التابعة للهيئة.

الصحفي الأمريكي بلال يتحدى تحرير الشام

تحدى الصحفي الأمريكي بلال عبد الكريم هيئة تحرير الشام بعد اعتقالها للإعلامي أحمد رحال، الذي نشر التسجيل المصور لأبو عبدو أشداء، بنشره لذات التسجيل المصور.

وقال الصحفي الأمريكي إنه نشر ذات الفيديو الذي نشره الصحفي أحمد رحال متحديا هيئة تحرير الشام، ومؤكدا أنه سيقوم بإعادة نشر الفيديو في حال تم اعتقاله، مشيرا إلى أن من لم يركع لبشار الأسد لن يركع لهيئة تحرير الشام أو غيرها.

وأضاف الصحفي بلال أن للصحفيين الحق في التحدث عما يجري في المناطق المحررة، مكررا أن هذه المناطق ليست ملكا لأحد، مستبعدا أن يكون موقفا دليلا على تأييد ما جاء في تسجيل أشداء، لكن ما جاء في حديثه مهم ومن حق الناس معرفته، مطالباً الصحفي بالإفراج الفوري عن الصحفي رحال.

وكان قائد سرايا الغرباء في لواء التوحيد سابقا والمقرب من الفصائل الجهادية "الأسيف عبد الرحمن"، ظهر في مقطع مصور على قناته الشخصية بموقع يوتيوب شرح فيه أسباب اعتقال رحال، وظروف اعتقاله التي خلت من مراعاة حرمة منزله.

واستهجن عبد الرحمن الطريقة التي تمت فيها عملية الاعتقال، بشهادة والدته وأخوه وجيرانه، حيث اقتحم عناصر القوة الأمنية التابعة لهيئة تحرير الشام منزل "رحال" دون مراعاة لحرمة المنزل وزوجته.

وطالب القيادي بالإنصاف ومحاسبة المخطئين منوها إلى العناصر المنفلتة من هيئة تحرير الشام والتي قامت باعتقال الرحال، مؤكدا على وجود الكثيرين من الحانقين مثله. علنت هيئة تحرير الشام، اعتقال القيادي في

أخر مقابلة مع أبو العبد أشداء قبل أن يعتقل

نشر الصحفي الأمريكي بلال عبد الكريم على صفحته الشخصية قال إنها أخر مقابلة أجريت مع القيادي أبو عبدو أشداء قبل اعتقاله.

وتحدث القيادي أشداء عن سبب انضمامه إلى صفوف هيئة تحرير الشام إبان سيطرة قوات النظام على حلب، وتطلعهم إلى تحرير المناطق وحفظ المحرر من خلال هذه الهيئة.

وعزا أشداء اختياره توقيت مكاشفته إلى حرصه على تدارك ما قد يمكن أن يتم خسارته في حال استمرار الأخطاء، منوها إلى أنه قد أجل مكاشفته منذ أربعة شهور منتظرا هدوء الجبهات.

وقال أشداء إن هدفه من التسجيل المصور هو متابعة الأخطاء التي ذكر البعض منها، منها مظالم الشعب والحقوق وتفعيل الشورى مؤكدا على أن ما يريده هو الإصلاح.

وعن سبب بقائه في الهيئة وعدم الخروج منها رغم ما يعرفه من أخطاء برر أشداء رغبته في إصلاح الهيئة وعمله على ذلك مدة عام، مضيفا أنه حين لم يجد جدوى من الإصلاح أظهر تسجيله للإعلام.

ونفى أشداء في حديثه أن يكون قد أبلغ بقرار هيئة تحرير الشام بعزله وإحالته إلى القضاء العسكري بتهمة التدليس والافتراء، مستغربا من نفي الهيئة للاتهامات دون مطالبته بحجة عما جاء في التسجيل.

يذكر أن هيئة تحرير الشام قد قامت بالإعلان عن اعتقال أبو العبد أشداء أمس في ريف حلب الغربي، على خلفية بثه لتسجيل مصور كشف فيه مكامن الفساد في قيادة الهيئة قبل أيام.

قبل أن تغرق سفينة من؟.. تسجيل "أشداء" وبوادر لانتهاء النصرة

"الظلم مؤذن بخراب العمران" هذا ما يقوله ابن خلدون في مقدمته الشهيرة، واصفا كيف تمر الدول بأطوار الشباب والكهولة إلى الموت، وميل الحاكم بعد التأسيس والقوة إلى اللين والإسراف والدعة، و"جدع أنوف عشيرته وذوي قُرباه المقاسِمين له في اسم الملك"، واستفراده في الحكم، وإرهاق الناس.

تعاقبت أخطاء النصرة بزخم وعمق لافت في الفترة الأخيرة، رغم عدم قلتها سابقا، لكن المميز بها اليوم هو خروجها عن سيطرة الجولاني ووضوح الانفلات العناصر وتحولهم إلى عصابات صغيرة همها الكسب المادي.

وتلاحقت الانتقادات لها حتى من قبل مناصريها منذ بدء الهجمة الأخيرة لقوات النظام وانحسار سيطرة فصائل المعارضة على مناطق شاسعة، ولم تلق نظرات التساؤل من مناصريها أي جواب، تلاها قيام عناصرها بمنع المتظاهرين المتوجهين إلى الحدود التركية السورية في الأول من الشهر الحالي، والاعتداء عليهم، ثم جريمتهم ضد الطبيب عثمان الحسن بتفاصيلها الهمجية والعنيفة، والتقارب الشديد في التشبه بنظام الأسد بمسيرات التأييد التي سيرتها لتحد من المظاهرات المناهضة لها في إدلب، ليأتي التسجيل المصور لأشداء وعزله واعتقال الإعلامي الذي نشر أخر الأخطاء حتى الساعة.

من المرجح أن يكون انكشاف جبل الأخطاء متمثلا بالتسجيل الشديد الذي نشره "أبو عبدو أشداء" أول أمس الاثنين، قاتلاً، حتى دفع بالجولاني إلى التخلي عن مرونته، وهو المتنقل ما بين القاعدة والثورة بحسب ما تتطلبه الحالة، بعزل ومحاكمة "أشداء" بشكل سافر ومفضوح، دون أي اعتبار للجمهور "الذي يحترم عقله"، أتبع ذلك باعتقال حتى من صور ومن نشر.

لا يحمل حديث القيادي معلومات جديدة، ورغم معرفة الجميع بها -بمن فيهم مناصرو الجولاني- إلا أن "المفصل الأمني" المتقدم في الأولوية على "المفصل العسكري" لم يكن ليسمح بتسرب معلومات أقل مما قاله أشداء بكثير، في حين خشي الآخرون عصاها وألسنة غلمانها.

من المرجح أن يكون التسجيل قاتلا للجولاني لعدة أسباب، أهمها أنه يأتي ضمن سلسلة من الأخطاء المتلاحقة كشفت بشكل فج مشروعها، وهي في أضعف حالاتها، ثم ما يشكله التسجيل من تحريض محق ضدها، للانتفاضة عليها، وبدء مظاهرات ستبدأ موارية ثم تسقط الجولاني على حين غرة، كما جرى وكما يبيت ثوار الداخل يوم غد الجمعة.

ومن اللافت أن القيادي الصريح "أشداء" لم يعلن انشقاقه وظل "كجندي مازال على رأس عمله بالهيئة" ذات "النظرة السطحية" والممارسة لـ "سياسة الكرسي الدوار"، رغم ما كال لها من اتهامات بـ "ظلم الجهاد والمجاهدين" و"ظلم الأمة وتسلطها عليها" و"مقاسمة الفقراء على أرزاقهم" و"مزاحمة العامة في العمل بالمحروقات" ، و"خضوعها للتفاهمات الإقليمية" و"بيعها لمناطق شرق السكة" ومناطق ريفي حماه وإدلب.

متمسكا بمنصبه "كمسئول عام عن كتلة حلب المدينة وإداري عام لجيش عمر بن الخطاب" ينتقد "أشداء" تسليم الهيئة للموالين لها "حتى لو كان غير كفء عشرة مناصب"، ما دفع بـ "ترك أكثر من خمسين أخ مجاهد بسبب ضعف المنح وفقر المجاهدين" متخلين عن الحور العين.

قافزا من سفينة على وشك الغرق قدم "أشداء" رسالته تبرئة لذمته، من قيادة الجولاني المحارب "للتطوير والإبداع" والطارد "للكفاءات"، والكانز للمال، والذي يدعي صرفه للمال على بعض المجالات لكن.. "يتبين مع الأيام عدم صدق ذلك".

ويقول البعض إن "أبو عبدو أشداء" كان من أكثر المتحمسين لضرب فصائل الجيش الحر، مدللين بتسجيل سابق له إبان سقوط حلب، اتهامه لتلك الفصائل بالتقاعس عن القتال، ويبدو أنه ما زال عند هذه القناعة في تسجيله الحالي بمطالبته "بتغيير مناهج العلمانية".

لكن يبقى ما قدمه القيادي بمكاشفته عملا مؤثرا "خلف خطوط العدو"، ولا بد من أنه قد "جهز العدة المناسبة لذلك" قبل أن يقدم هذا التسجيل.

ويصف ابن خلدون العصابة الحاكمة قبيل سقوط الحكم: "إنهم مع هذا يحاولون إظهار القوة من خلال احتكار السلاح والجيش، وذلك لقمع الناس إذا أرادوا الثورة ومواجهة استئثار هذه النخبة الحاكمة للسلطة والثروة"، و"يلبسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحُسن الثقافة، يموهون بها، وهم في الأكثر أجبن من النساء على ظهورها".

بعد رفضه تسليم نفسه.. تحرير الشام تؤكد اعتقال " أشداء"

صفوفها "أبو العبد أشداء"، وذلك بعد أيام على نشره للتسجيل الذي تضمن فضائح وفساد تمارسه قيادة هيئة تحرير الشام.

ووصفت هيئة تحرير الشام في بيان لها نشر على نطاق ضيق اليوم إن ما نشره "بالأكاذيب والافتراء" ويدعو "للفتنة وشق صف الجماعة، وكشفت معلومات قد تفيد العدو في حربه القائمة على الشمال المحرر".

وأضاف البيان إن القيادي أشداء رفض تسليم نفسه للقضاء رغم محاولات عدة لإقناعه من أميره المباشر، مؤكدة إلقاء القبض عليه ليأخذ القضاء مجراه.

وكان المتحدث باسم الجهاز الأمني التابع لهيئة تحرير الشام "عبيدة الصالح"؛ إن الجهاز الأمني قام بتوقيف الناشط الإعلامي "أحمد رحال" على ذمة التحقيق أول أمس الأربعاء، وذلك بعد ورود عدة معلومات تفيد بتورطه بالاشتراك مع بعض الشخصيات بمحاولة إثارة الفتن وشق صف المجاهدين، وقد وصلتنا من عدة مصادر وشخصيات تحدث معهم "رحال".

وأضاف المتحدث لشبكة "إباء" الموالية للهيئة؛ بتوقيف "رحال" والتحقيق معه تأكد لدينا صحة بعض تلك الدعاوى، ولعلنا نكشف عما قريب بعض المحادثات والمؤامرات التي قام هذا الفريق بنسجها وترتيبها في محاولة شق صف المجاهدين بدعاوى باطلة، مستنكرا ما تداوله البعض عن توقيف "رحال" كونه جاء ضمن إطار سياسة تكميم الأفواه وحرب حرية الرأي والإعلام.

وأشار المتحدث إلى أن الجميع يعلم حرص الهيئة في الحفاظ على الإعلاميين وتسهيل الأمور لهم لتغطية المعارك والفعاليات، ولم يوقفوا شخصا لمجرد أنه إعلامي حسب قوله، فهم يعلمون مدى أهمية وضرورة الإعلام ونقل الصورة الحقيقة للناس بكل مصداقية ووضوح.

وأضاف أن توقيف "أحمد رحال" لم يأت لأنه يعمل في المجال الإعلامي كما ادعت الكثير من الشخصيات، مؤكدا بالمقابل أن كون الشخص إعلاميا لا يعني أن يطعن ويسب ويشتم هنا وهناك متجاهلا كل ما يدور من حوله وكل الجهود المبذولة مبررا كل ذلك بأنه إعلامي وله حرية الرأي ونقل الأخبار.

وأوضح "الصالح" حرص الهيئة على وحدة الصف في الشمال المحرر، وأنهم لن يتهاونوا مع أي شخص كائنا من كان، سواء كان منتميا لصف المجاهدين أو عاملا ضمن أي مجال ويريد العبث أو المتاجرة بالمحرر متجاهلا الدماء التي بذلت رخيصة في سبيل نيل الحرية والكرامة.

في النزوح.. حقوق الطفل رفاهية مؤجلة

على الطريق تحت الشجر تنتشر الخيام كأكوام الملح والصبر تقبع في حالة انتظار، المخيمات في الشمال السوري ليست وليدة اليوم هي موجودة منذ أعلن الشعب السوري رفضه لنظام الأسد، حين قصفه الأخير بالطائرات والراجمات، لكن مع بداية الحملة الروسية الأخيرة مع النظام الأسدي على ريفي إدلب الجنوبي وحماة الشمالي في الشهر الرابع من هذا العام، تصاعدت موجة النزوح لتشكل طوفانا بشريا زاد عن المليون شخص ثلثهم من الأطفال بحسب ما قدرهم منسقو الاستجابة في سوريا.

غادة باكير

على الطريق تحت الشجر تنتشر الخيام كأكوام الملح والصبر تقبع في حالة انتظار، المخيمات في الشمال السوري ليست وليدة اليوم هي موجودة منذ أعلن الشعب السوري رفضه لنظام الأسد، حين قصفه الأخير بالطائرات والراجمات، لكن مع بداية الحملة الروسية الأخيرة مع النظام الأسدي على ريفي إدلب الجنوبي وحماة الشمالي في الشهر الرابع من هذا العام، تصاعدت موجة النزوح لتشكل طوفانا بشريا زاد عن المليون شخص ثلثهم من الأطفال بحسب ما قدرهم منسقو الاستجابة في سوريا.

تفتقر المخيمات برغم المساعدات التي تصل إليها إلى مقومات الحياة الرئيسية للأطفال، فاضطراب الحياة وعدم استقرارها، وانعدام وسائل المعيشة الثابتة، وتعرضهم لتقلبات المناخ وسوء التغذية تجعل من تجربة النزوح علامة في انكسارات نفسية لدى الأطفال قد لا يكون زوالها أمراً سهلاً.

تحاول بعض المنظمات وفرق من جهات مدنية وإنسانية العمل لسد هذه الثغرة بما توفر لديها من إمكانات، وتقول مسؤولة التواصل في فريق ياسمينات سوريا "ضحى الشحنة" لزيتون إن فريقا خاصا بالإسعاف النفسي الأولي متواجد ضمن منظمتهم هدفه تأمين الرعاية النفسية والدعم النفسي للأطفال النازحين في مخيمات النزوح.

في الطريق ما بين سرمدا و شمال حزانو على الحدود الشمالية القريبة من تركيا التقى مراسل زيتون بالمعلمة "ضياء الحسين" التي تحدثت عن القصف الذي استمر عشرين يوما على بلدتهم "معراتة" بريف معرة النعمان الشرقي، ما أجبرهم على ترك بيوتهم.

وتضيف المعلمة:

"خرجنا ببعض الأمتعة واتجهنا للشمال لننقذ أطفالنا من الموت، نعيش هنا حوالي ثلاثون عائلة ولدينا حوالي مئة طفل كلهم عرضة للحر والبرد وانعدام أساسيات الحياة، همنا بالدرجة الأولى الحفاظ على حياتهم ولا مجال هنا لرفاهية الحديث عن باقي حقوق الأطفال".

هاجر طفلة في العاشرة من عمرها تقول بحزن باد في عينيها إنها غادرت منزلها بسبب قصف الطائرات المرعب والذي تسبب بوفاة خالها وعمها، مضيفة أنها تشتاق إلى لمنزلها وصديقاتها التي نزحن بدورهن إلى أماكن لا تعرفها.

أما الطفلة ماريا أحمد ذات التسعة أعوام فتتمنى بأسى رؤية صديقتها والعودة للبيت والمدرسة مشيرة إلى أنها لا تحب الخيمة التي لا تحتوي على شيء.

من جانبه يقاطع الطفل يزن (٨ أعوام) من ريف المعرة حديث ماريا معتبرا أنه محظوظ كون صديقه حمزة قد نزح معه مشيرا إلى خيمة قريبة بجانبه، لكنه يحن كذلك إلى مدرسته ومعلمته "وردة الحسين، مؤكدا بيقين لا يتناسب مع طفولته عن عودته إلى بيته الذي يحتوي على دالية عنب وارفة.

لا رعاية صحية للأطفال في المخيم، وهناك بعض الأطفال ممن يعانون من أمراض تحتاج رعاية مستمرة وخاصة مثل الطفلة "هيام خير الله" والبالغة أربعة عشر عاماً والمصابة بمرض لم يتعرف عليه الأطباء، يضطر والدها لإجراء عملية تبديل دم لها كل شهر في المراكز الصحية القريبة دون أن يتمكن من توفير الرعاية المطلوبة لها في ذلك المخيم.

المرشدة الاجتماعية "رهف رزوق" تحدثت عن مخاطر النزوح والحياة في الخيام لزيتون: "الأطفال هم الفئة الأكثر عرضة للإصابة بالاضطرابات النفسية أثناء فترة النزوح، لأنهم بحاجة للشعور بالانتماء سواء للأهل أو البلد، وبمجرد خروج الطفل من محيطه الآمن (بيته وحيه) يتعرض لكثير من القلق والاضطراب والخوف، وافتقاره للأمان والانتماء يتسبب بعدم استقرار نفسي للطفل ويجعله عرضة للعزلة والاكتئاب".

وتشدد المرشدة على أن أبسط ما يمكن تقديمه للطفل في النزوح هو عدم إبداء الخوف والحزن أمامه، لأن الطفل قادر على أن يستشعر عواطفنا التي تنعكس تلقائيا عليه، وينتقل خوف الأهل إليه في حين يستمد الشجاعة والقوة منهم إن كانوا كذلك.

وتؤكد رزوق أنه في حال توافر مراكز للدعم النفسي في مناطق النزوح فلا بد أن يلتحق الطفل بهذه المراكز ليشارك بأنشطة اللعب الجماعية التي تحميه من العزلة وتقدم له إمكانية بناء علاقات وصداقات جديدة.

فيما تقبع الخيام بانتظار حل لسكانها، تمر الأيام ثقيلة وهدامة على الأطفال، لتتحول فترة نزوحهم وخسارتهم للبيت الذي هم بأمس الحاجة إليه لما يشكله من مصدر أمان لهم، لتكتسي وجوههم علاوة على الغبار علامات الشقاء في ترديد دائم لعبارة واحدة: "أريد أن أعود إلى البيت".

الإنصات لهم.. خير علاج لأطفالنا المصدومين

على ظهور الشاحنات المحملة بالأمتعة والمتجهة إلى مخيمات النزوح، يجلس الأطفال الهاربين مع ذويهم يستشرفون قادمهم فلا يرون سوى الخيام والضياع، في حاضر من ركام، بعدما سحقت نيران الطائرات والحرب حياتهم.

عدنان صايغ

في واقع يعج بأسباب يكفي أحدها ليخلّف صدمة عنيفة للبالغين، يتلقى الصغار صدمات متتالية تراكم مشاكل نفسية ليس من السهل الشفاء منها.

تُعرّف الصدمة النفسية بأنها "أعراض ما بعد تجربة صادمة أو حدث عنيف ومؤذ يهدد الحياة، ينتج عنها خوف شديد أو إحساس بالعجز"، تحتاج هذه الحوادث إلى مجهود غير عادي لمواجهتها، كما يعرفها أخرون بأنها "حالة فجائية طارئة غير متوقعة، تكون فوق طاقة الإنسان، تؤثر عليه، بحيث يكون عاجزا عن التأقلم مع الواقع".

تقول المربّية في إحدى رياض الأطفال بجسر الشغور بريف إدلب الغربي "أماني المحمد": "يلعب الأطفال بشكل دائم لعبة الجيش الحرّ والشبيحة، ويمثلون الاقتحامات، ويحفظون أسماء كل أنواع الأسلحة، كما ترتفع نسبة المنعزلين والمنطوين بالإضافة إلى مظاهر الخوف لدى الجميع حتى لدى الكبار، لكن يبقى الطفل مرآة للخلل الذي أصاب المجتمع".

في حالة غير مفهومة يبكي أحمد ذو الست سنوات ويختبئ خلف أمه صائحا "سيعتقلوني" كلما رأى رجلا يرتدي زيا عسكريا أو يحمل سلاحاً، فيما بدأت تظهر على أخته بتول التي تكبره بثلاث سنوات بوادر لمرض جلدي، وتؤكد أمهما لزيتون على أن ما أصاب ولديها بدأ منذ أن علما بوفاة والدهما في السجن.

"لؤي محمد الأعرج" طالب كان في الصف الخامس الابتدائي بمدرسة قرية حاس التي لا يتجاوز عدد سكانها ١٥ ألفا، وأحد الناجين من المجزرة التي وقعت في مدرسته وراح ضحيتها ٤٥ معظمهم من الطلاب قال لـ «زيتون»: "لا تزال أصوات الانفجارات تدوّي في رأسي، ومشاهد الدمار والدماء، تدافع الطلاب، وهروب بعضهم، واختباء البعض الآخر تحت مقاعد الدراسة التي امتلأت لاحقاً بالدماء لا تفارق مخيلتي، وكأنها تتكرّر في كل لحظة، فقدت أصدقائي وأساتذتي، لن أعود للمدرسة مرة أخرى".

طفلة من ريف مدينة كفرنبل بريف إدلب – زيتون

تنتشر ظاهرة الخوف المبالغ فيه لدى جميع سكان الشمال السوري وبشكل خاص لدى الأطفال من الأصوات المرتفعة ولا سيما تلك التي تشابه صوت انقضاض الطائرات، يرافقهم ذلك الخوف حتى بعد خروجهم من سوريا ليعيش معهم في دول اللجوء.

يلخص الأخصائي في العلاج والصحة النفسية الدكتور «خالد الضعيف» لزيتون بعض أعراض الصدمة بالخوف والقلق، وهما من أهم العوارض التي تظهر على الطفل، والخوف قد يدفع إلى اليقظة الزائدة التي تسبب

صعوبة في التركيز وصعوبة في النوم، وهو ما يسبب عصبية وتدني قدرة الطفل على التعلم.

كذلك تظهر حالة من الإنكار على بعض الأطفال الذين يميلون الى إنكار الواقع كأن يؤكد طفل فقد زميله على عودته غدا إلى المدرسة، كبعض الحالات التي ظهرت بين أطفال قرية حاس بعد المجزرة التي وقعت لرفاقهم في المدرسة والتي رصدتها زيتون سابقا.

"راما" إحدى الأطفال الناجيين من مجزرة مدرسة حاس تحدثت عن أصوات البكاء والصراخ التي عمت المدرسة، وكيف تذكرت ابن عمتها أحمد في الصف الأول، وصار همها إخراجه من المدرسة، وحين وجدته يبكي أخذته وركضت به، تذكر راما بأن أحمد كان يبكي ويقول: "يا رب لا تموّتني، أنا ابن شهيد، أنا وحيد لأمي، أنقذني من أجلها"، كما تذكر كيف كادت أن تتعثر بيد طفل يمسك حقيبته المدرسية في الطريق".

أهم الاضطرابات النفسية شيوعا لدى الأطفال السوريين هي "اضطراب الرض ما بعد الصدمة واضطراب القلق العام والتبول اللاإرادي"، من عوارضها زيادة التعلق بالأبوين على نحو ملحوظ وحديث العهد هو دليل صدمة قلق لدى الطفل، منها أيضا قضم الأظافر ورؤية الكوابيس، وضعف التركيز والخوف غير مبرر، إضافة الى العنف الناتج عن الخوف وفقدان الثقة بالحياة وتراجع القدرة على التفكير المنطقي، إضافة إلى الانزواء والانطواء والميل إلى الوحدة بحسب الطبيب النفسي "مضر حبار".

وكانت جامعة ألمانية قد أجرت دراسة نشرها DW شملت ١٠٠ طفل سوري لاجئ في ألمانيا عام ٢٠١٥، أكدت أن طفل من كل خمسة أطفال سوريين يعاني من اضطراب ما بعد الصدمة، و٣٠٪ منهم يحاول مقاومة مشاكل عقلية خطيرة، مشيرة إلى أن ٦٠ في المائة من الأطفال من مشاعر العزلة بعد وصولهم إلى ألمانيا.

محاذير تزيد من عمق الصدمة

يحذر الطبيب مضر حبار من رؤية الطفل لأحد والديه أو كليهما في حالة خوف فهو يفتقد بذلك الملجأ الآمن والطبيعي الذي تعود عليه لحمايته وقت الشدة ويجب أن يعلم الآباء أنهم القدوة بالنسبة لأبنائهم ويفترض بهم أن يسيطروا على مشاعر القلق والخوف أمامهم وان يبثوا روح الأمل والشجاعة فيهم، كما يشدد على الأبوين في عدم التحدث أمام الطفل عن الحوادث المؤلمة التي تعرضت لها الأسرة في ظروف الحرب الحالية وعدم معاقبة الطفل جسديا في حالة التبول اللاإرادي.

ويرى الطبيب حبار بان الإطار العام لكل الحالات يقضي بتأمين الأساسيات للأطفال وأهمها الأمان ومن ثم المعيشة من توفير الطعام واللباس والدفء، كذلك التعليم.

وفي دراسة لمنظمة أنقذوا الأطفال جاء فيها أن ملايين الأطفال السوريين يقومون بجرح أنفسهم أو تناول المخدرات للتخلص من الإرهاب الذي تسببه الحرب.

ينصح الطبيب خالد الضعيف التركيز على التعامل مع الطفل بطريقة غير لفظية، نتيجة لانخفاض قدرتهم على التعبير فهو لا يعرف كيف يعبر عن آلامه وما يعانيه بصورة كلمات أو ألفاظ لغوية.

ويضيف الطبيب "حبار" نصائح أخرى يمكن للأهل القيام بها أثناء تعاملهم مع أطفالهم المعرضين للصدمات بالآتي:

علينا أن نستمع لأطفالنا، الاستماع الجيد للأطفال وكلما كرر الطفل الحديث عن الصدمة من خلال التفريغ الانفعالي كلما قل تأثيرها عليه في المستقبل، والتحدث مع الطفل بطريقة تدخل الطمأنينة والأمان إلى قلبه واستخدام أي إجراء يعزز ذلك، ومن المهم محادثتهم قبل النوم عن أفكار ايجابية وعن طموحاتهم وأمالهم والإيحاء لهم بأن المستقبل أفضل، مبتعدين عن ذكر أسباب الصدمة.

كما يجب على الأهالي تقليل تعرض الأطفال الى الإعلام، وخاصة الإعلام الذي تظهر فيه مشاهد العنف والقصف، لأن الطفل يستعيد بذاكرته الصدمة، ويعتبر "الضعيف" أن سهولة الوصول لوسائل الإعلام ومقاطع الفيديو عن طريق الإنترنت التي تغذي العنف لدى الأطفال أو تثير الرعب لديهم من المشاكل التي لا يتنبه لها الأهل ويقول:

"للأسف الآباء يتصفحون المواقع الالكترونية ونشرات الأخبار غير مبالين بشعور أطفالهم أو غير مدركين بتأثيرها عليهم، وحتى العاب الأطفال الالكترونية فكلها تحاكي الحروب والقتل والعنف".

وتفيد مشاركة الأطفال بتنفيذ بعض الأنشطة البسيطة كأن يشاركوا أهاليهم بالعمل أو مرافقتهم لذويهم للتسوق، وتمكين الطفل من ممارسة حياته الطبيعية قدر الإمكان، وزيادة الاهتمام بفعاليات كانت في السابق أمرا "روتينيا" مثل الاحتفال بعيد ميلاد الطفل والخروج في نزهات.

لكن يبقى الشرط الرئيسي للبدء في أي علاج هو توقف أسباب الصدمة أو الحدث الصادم، وهو ما تفتقده الحالة السورية التي تستمر فيها الاضطرابات حتى اليوم.

أطفال إدلب المجنّدون: نعرف أننا قد نموت في أي لحظة

قيل عن الحرب إنها بلا قلب، إذ تطحن الصغار وتستقوي على المستضعفين، فيما توفر الحماية والمجد للأطراف المنتصرة وللمجرمين.

تدفع قسوة الحرب الأطفال للنضوج بعجالة، وتزرع فيهم شعورًا بمسؤوليةٍ لا تناسب أعمارهم، كما تشكّل مشاهد الموت والعنف بداخلهم استعدادًا لحالة التماهي مع واقعهم بهدف البقاء والاستمرار.

تنكر جميع الأطراف المتصارعة في سوريا ضم أطفال إلى صفوفها، لكنها تستمر بشكل متستر بزجهم في صفوفها، وهو ما يكشفه الواقع على الأرض في انتشار مشاهد حمل الأطفال للسلاح في المدن والبلدات السورية، كما تفضحه مقاطع الفيديو والصور الواردة من المعارك والعمليات العسكرية المتخمة بصور الأطفال المجندين، ومن بين تلك المناطق محافظة إدلب التي تسيطر عليها "هيئة تحرير الشام".

"أحمد كحيل" طفل من ريف إدلب، لم يبلغ السادسة عشر من عمره، تم اعتقال شقيقه الأكبر في خريف ٢٠١١، ورأى كيف اعتدى عناصر الأمن السوري بطريقة وحشية على أخيه بسبب التظاهر، قبل أن يقتادوه كمجرم إلى غياهب لم يعرف مصيره فيها حتى الآن، ولم يمض وقت طويل حتى توفي والده جراء غارة من طيران النظام.

يقول أحمد لزيتون: "لقد وعدت والدتي بأنني سأحرر أخي من السجن وأفتح له باب الزنزانة بيدي، وسأنتقم لوالدي الذي مات بلا ذنب، هذا النظام لا يفهم إلا منطق القوة".

التحق أحمد بتنظيم جبهة النصرة في الشمال السوري، ورغم إصابته في إحدى المعارك إلا أنه استمر في التردد على مقر مجموعته أثناء علاجه، ليواصل القتال معها بعد شفائه منها مباشرة.

ويعتبر أحمد النموذج المفضل لدى المجموعات المسلحة لما يملكه من دافع انتقامي للقتال ضد قوات النظام، في حين يلتحق الكثير من الأطفال في صفوف المقاتلين كنوع من العمل وطلبا للأجر بهدف إعالة أسرهم أو لمماثلة أندادهم المسلحين.

لم يتوان "عبد الإله. ع" وهو من أهالي ريف إدلب باللحاق بابنه "عثمان" البالغ من العمر ١٢ عاماً إلى مدينة الرقة بعد أن توجه إليها بغية الانضمام إلى صفوف تنظيم الدولة الإسلامية، ورغم خطورة الذهاب إلى مناطق تنظيم الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، فقد فضل الأب المغامرة بحياته على ترك طفله لدى التنظيم.

وكان الطفل عثمان قد قام مع مجموعة من رفاقه باستئجار سيارة أجرة والتوجه بها إلى مدينة الرقة والانضمام إلى التنظيم دون أن يبلغ أي منهم أهله، متأثرين بما كان ينشره التنظيم من مقاطع مصورة أو ما يسمى بإصدارات، تروج لدولته وتعطي صورة البطولة لعناصره.

اعتقل عناصر تنظيم الدولة الإسلامية عبد الإله فور وصوله إلى مدينة الرقة ومحاولته البحث عن ابنه، ليفرج عنه بعد أكثر من سبعة أشهر، ويعود إلى بلدته دون أن يسمحوا له حتى برؤية ابنه.

لم يكن عثمان الطفل الوحيد لأبيه الذي التحق بالقتال وتجند في صفوف الفصائل، فقد سبقه ثلاثة من إخوته هم محمد ١٨ عاماً، وبكر ١٦ عاماً، وعمر ١٤ عاماً، قتل اثنان منهم، أحدهما في غارة لطيران النظام أحالته إلى أشلاء، وهو ما يتذكره الطفل عثمان جيدًا وكان سبباً في التحاقه بتنظيم الدولة رغبة منه بالانتقام من النظام على حسب تعبيره لـ "زيتون"، وذلك بعد تمكنه من العودة إلى بلدته تحت إلحاح أهله بعد مرور أكثر من عام ونصف على التحاقه بصفوف التنظيم.

وعن نسبة الأطفال المنخرطين في الفصائل قال قيادي وشرعي سابق في "حركة أحرار الشام الإسلامية"، فضّل عدم الكشف عن اسمه، لـ "زيتون": "إن النسبة الأكبر من المقاتلين في الفصائل هي من الأعمار التي تتراوح ما بين ١٦ و ١٧ عامًا مقدرًا إياهم بأكثر من ٥٠ بالمئة، لكن النسبة تنخفض إلى ما دون ١٠بالمئة للأعمار التي دون ١٥ عامًا".

وأضاف القيادي: "هذه النسبة هي منذ أكثر من عامين، الآن وبعد انفضاض الناس عن الفصائل ارتفعت أعداد الأطفال لتعويض النقص في عدد البالغين".

ويضطلع هؤلاء الأطفال بكامل المهام القتالية والمساعدة من مرابطة وحراسة وتنضيد وغسيل، وفي كل الأماكن مهما بلغت خطورتها وهو ما يفسر ارتفاع نسبة القتلى بينهم بحسب القيادي في حركة أحرار الشام.

سعيًا وراء الأجر المادي

دفعت الظروف المادية السيئة الكثير من الأسر نتيجة لتوقف أعمال أربابها لقبول ما كانت ترفضه من انخراط أطفالها في حمل السلاح، وتعتمد الكثير من تلك العائلات على ما يتقاضاه أطفالها من أجر مهما كان ضئيلًا.

رواتب المقاتلين التي يتقاضونها من فصائلهم -على الرغم من تواضعها إذ لا تتجاوز /١٥٠/ دولاراً أمريكيًا في أحسن الأحوال شهريا- دفعت بالكثير من الأطفال وذويهم للتفكير في التحاقهم بتلك الفصائل لمساعدة أسرهم، وهو ما قاله الطفل "هاني" ١٧ عاماً من ريف إدلب عن انضمامه للقتال في إحدى الكتائب المعارضة قبل سنتين.

ويروي الطفل هاني لـ "زيتون" كيف انضم إلى إحدى الفصائل: "بعد أن بدأنا بالانقطاع عن المدرسة لفترات طويلة، كان لابد من أن أساعد أهلي، فعملت بإحدى محلات المنطقة الصناعية، كان رفاقي يأتون مرتدين زيهم العسكري ويركبون السيارات التي تنتصب عليها الأسلحة الرشاشة، بينما كنت أنا أساعد في إصلاح سياراتهم، شجعوني بالانتساب إليهم والخضوع لدورة شرعية".

وتابع: "برفقة أحد أصدقائي حضرت أحد الدروس الدينية وانضممت إليهم، أحصل الآن على دخل أفضل من دخلي في السابق، كما يمكنني مرافقة أصدقائي وخدمة الثورة في آنٍ واحد".

يفتخر هاني بكونه قد أصبح "مجاهداً"، يحمل سلاحه ويشارك في الأعمال القتالية، فيما يدرك أن الموت قد يكون مصيره في أية لحظة.

"أبو البراء" ليس كما يوحي به الاسم، جهادياً من تنظيم القاعدة أو "داعش"، بل هو أحد أطفال سهل الغاب في ريف حماة، مازال في الخامسة عشرة من عمره، لا تختلف قصته عن قصة أحمد السالفة مع اختلافٍ في الدوافع، فقد قتلت الطائرات أباه وأخاه أثناء عملهم ما تركه هو وأمه وإخوته الصغار بلا معيل.

"أبو البراء" قال لـ "زيتون": "قررت ترك المدرسة والانضمام إلى إحدى الفصائل، أتلقى ٥٠ دولاراً كل شهرين وأحيانا مئة دولار، لم تمنعني والدتي من الانضمام بل شجعتني على ذلك رغم خوفها علي، لأننا بحاجة إلى هذا المال".

وتقوم بعض الجماعات بإطلاق لقب "جهادي" على الطفل كأبي البراء وغيره، وهو ما يعطي الطفل انطباعاً بالبطولة والشجاعة، وما يحرض أنداده من الأطفال في الوقت ذاته للحصول على لقب مشابه من خلال الانضمام إلى حمل السلاح.

حرب الأهالي مع أطفالهم على جبهات الألعاب الإلكترونية

في الوقت الذي تغص سماء محافظة إدلب بصوت الطائرات وصفارات الإنذار وتحذيرات القبضات اللاسلكية من إقلاع وتنفيذ للطائرات المروحية والحربية الروسية منها والسورية، تتصاعد أصوات الأمهات بعصبية وتوتر رافضة أي طلب للأولاد في الخروج واللعب في الشارع، فيقايض الطفل لذة الخروج بمطالبة الأهل بالموبايل لتمضية الوقت الثقيل.

أحمد فرج

هذا ما يعيشه الأطفال في المناطق المحررة في الشمال السوري، حرمان من اللعب، انعدام الحدائق والأماكن المخصصة للعب، وتوتر أمني مترافق بالقصف مع ضيق اليد عند معظم الأسر، كل هذا يدفع الأهالي ليصبحوا أكثر تسامحا في منح الأطفال وقتا طويلا في ممارسة الألعاب الإلكترونية على الأجهزة المحمولة.

"سالي" و"هاجر" طفلتان توأمان تبلغان من العمر سبع سنوات، وحيدتان لأبويهما، اعتادت الطفلتان اللعب في فسحة الدار، ومع اشتداد الغارات الجوية والحملة العسكرية على المناطق المحررة، منعهما والداهما من اللعب خارج المنزل، ولم تجد الطفلتان سوى الموبايل وسيلة للعب والترفيه.

تتشاجر الطفلتان على حيازة الموبايل ومشاهدة مقاطع اليوتيوب أو اللعب فيه، وبسبب اختلاف طباعهما فقد توصلتا لحل مرضٍ لهما، فهاجر تنام في وقت مبكر لتستيقظ في الصباح الباكر وتحظى بوقتها في اللعب، بينما تسهر سالي لوقت متأخر مستغلة نوم أختها.

ورغم عجز الأهل عن شراء ملابس جديدة انتظرت الطفلتان عيد الأضحى بفارغ الصبر، مكتفيات بملابس العيد الماضي وهن سعيدات لما يعنيه العيد لهن من لعب، ومع حلول صباح العيد وقبل أن يتمكن الأطفال من تفريغ طاقاتهم، انقضت إحدى الطائرات على البلدة معلنة انتهاء العيد، فعادت الصغيرتان إلى ألعابهن.

أصوات وضحكات عالية، حركات غريبة، انفعالات وصراخ، انعزال عن الحياة وابتعاد عن الطعام والشراب واستعجال في كل شيء، هذا هو حال الطفل "أمير" منذ أن غرق بألعابه الالكترونية على الموبايل مثل "ببجي، فري فاير، وفورتنايت".

تقول أم أمير أن ابنها البالغ من العمر ١٢ عاما، تعلق بألعاب الموبايل، جعلت منه طفلا عصبي المزاج، لا يأبه للحياة الأسرة، فهو لا يأكل ولا يشرب إلا وعينيه على شاشة الموبايل، حتى أنه يبقى واقفا أثناء اللعب، مستخدما حركات سريعة بيديه، وسماعات بأذنيه وصراخ متواصل مع أصدقائه، على اللعبة ومسارها.

ضرر جسدي

منظمة الصحة العالمية أدرجت للمرة الأولى "اضطراب ممارسة الألعاب الإلكترونية" على قائمتها التي تحدد اضطرابات الأمراض النفسية في العام ٢٠١٨، لما له من تأثيرات سلبية على صحة الناس النفسية والجسدية.

وعرفت منظمة الصحة العالمية اضطراب ممارسة الألعاب الإلكترونية بأنه "نمط من سلوك ممارسة الألعاب الإلكترونية المستمر أو المتكرر"، وتأتي هذه الخطوة في ظل ما تشهده ألعاب الموبايل والفيديو والألعاب الإلكترونية من شعبية كبيرة، واعتبرت المنظمة أن المكوث ساعات طويلة أمام شاشات الحاسوب والتلفزيون والموبايل للتفاعل مع عالم افتراضي له آثار وخيمة على نمو الدماغ وتطوره.

ويختصر الطبيب "عبد الحكيم رمضان" الأضرار الجسدية نتيجة للجلسات الطويلة في النمو الغير سليم لعظام الأطفال، وتراجع نمو عضلاتهم في وقت هم بأشد الحاجة فيه ال الحركة، مع تشوهات في العمود الفقري، فضلاً عن أضرار النظر جراء التعرض لأشعة الأجهزة الإلكترونية لفترات طويلة. مشاكل نفسية

الضرر النفسي

وتبدو المضار النفسية أكثر خطورة من سابقتها الجسدية لما تتركه من آثار طويلة الأمد على طريقة تفكير الطفل وطبعه، إذ يكتسب من خلال الألعاب القسوة والعنف، ويجنح إلى السادية ورغبة القتل والتصلب، كما تزرع فيه حب الذات والأنانية والاستئثار، دون مراعاة حقوق الآخرين، وهو ما يظهر في النزاع على أدوار اللعب بين الأخوة والأصدقاء، بعكس الألعاب التقليدية القديمة التي صممت لمشاركة الآخرين في الألعاب.

الانطواء والكآبة والوحدة من أهم أعراض المدمنين على الألعاب الإلكترونية، إذ يتسبب الجلوس لفترات طويلة على الألعاب بعيدا عن الأهل والواقع إلى الشعور بالعزلة والوحدة، يمكن أن تصل بهم إلى حالات متطورة من الكآبة الخطرة.

العالم الافتراضي وما يفرضه من انفصال عن الواقع يتسبب بتبني الطفل لثقافة مغايرة وقيم مختلفة لمجتمعه، ما يوقعه في الكثير من المشاكل والحرج، وكنتيجة لرغبة الطفل في اللعب الدائم وتأجيله لكل واجباته المدرسية، ورغبته في السهر، وتراخيه بالمشاركته أثناء الدرس في اليوم التالي، كل هذا يفضي إلى تراجع قدراته ومكانته الأسرية وإعطائه صورة نمطية للطفل الكسول.

"فاطمة عتيق" عاملة في مجال الدعم النفسي في منظمة شفق الإنسانية قالت لزيتون: "تسبب الألعاب الإلكترونية شداً عصبياً للطفل وردّات فعل غير طبيعية مترافقة مع فرط في حركة، وتنامي النزعة العدوانية لديه، ومن الممكن أن تؤدي لإصابة الطفل المدمن عليها بمرض التوحد"، مضيفة:

"التأثيرات الاجتماعية تظهر بوضوح، عبر الخجل وتراجع الذكاء الاجتماعي واللغوي إضافة إلى النطق، فضلاً عما تسببه للطفل من ضعف في تحصيله العلمي، نتيجة الانشغال الدائم بالتفكير بها".

نصف الكأس الممتلئ

وعلى الرغم من أضرارها الكبيرة، لا تخلو الألعاب الإلكترونية من فوائد، شريطة إتباع طرق صحيحة في التعامل مع هذه الألعاب، واختيار الأنواع المناسبة منها.

فهناك ألعاب تساهم في تنمية مهارات الطفل وتطويرها، وترفع مستوى الذكاء والثقافة لديه، كما تساعده في زيادة تحصيله العلمي، وتعوّده على التحلّي بالصبر، ومحاولة البحث عن الحلول لمشكلاته دائماً، دون أن ييأس أو يستسلم إلى أن يجدها.

نصائح قد تخفف من الضرر

يجمع الأهالي عبر تجاربهم على تصنيف بعض الألعاب ضمن خانة الألعاب المفيدة، تلك التي تسمى بألعاب الذكاء والمهارة، والتي تتطلب الكثير من التفكير وإعمال العقل واختيار الطرق الصحيحة للفوز والتخطيط، ولعبة الشطرنج هي من أفضل أمثلتها، والألعاب التعليمية التي تهدف لمنح الأطفال المعلومات بطريقة ممتعة ممزوجة مع الألعاب والتسلية.

كما يطغى الرأي على سوء ألعاب الإثارة والمتعة، ومن أبرزها لعبة "الحوت الأزرق"، والتي تسببت مؤخراً بانتحار عدد لا بأس به من الأطفال.

تشجيع الأطفال على اللعب وتشكيل علاقات مع الأقران في المساحات المفتوحة، وغرس حب القراءة والرسم وكتابة القصص وتوفيرها لهم كبديل، وتعويدهم على سماع القصص المسلية قبيل النوم وتحديد وقت معين لممارسه هذه الألعاب واختيارها، كل هذا قد يفيد في نمو الطفل بشكل صحي بحسب "العتيق"

قصور في الأداء الإغاثي لطوفان النزوح الأخير

لم يكن توقف الأم عن إرسال "سعد" للمدرسة كافيا لحمايته، إذ أن صوت انفجار صاروخ قريب من منزلها أنبأها أن طفلها قد أصيب.. في الشارع القريب كان الطفل يزحف محاولا الوصول إلى بيته وقد علقت به بعض أجزاء قدمه.

كان أول الواصلين إليه شقيقه الأكبر، وبينما تم نقله بسيارة الإسعاف إلى المستشفى كانت الأم المفجوعة تركض خلفهم.

غادة باكير

عشرات آلاف الأطفال في ريفي حماه وإدلب تعرضوا لمخاطر وشيكة وللموت، ١٣٤ طفل على الأقل لقوا مصرعهم، فيما تعرضت ٣٠ مشفى للهجمات الجوية، و٤٣ ألف طفل بدون مدارس.

قدمت هذه البيانات مديرة منظمة اليونسيف هنريتا فور في مؤتمر صحفي لها في شهر أيار الماضي، رغم ذلك لم تتلق أزمة النازحين في إدلب استجابة كافية

وفي الوقت الذي تنتشر مئات المنظمات الإنسانية المهتمة برعاية الأطفال وتعليمهم ودعمهم النفسي في الشمال السوري، يشكو الأطفال في عشرات المخيمات التي أقيمت بشكل عشوائي وعاجل من افتقارهم لأبسط مقومات الحياة هناك.

وتكمن عدة أسباب خلف هذا البون الشاسع ما بين عدد المنظمات والقصور في الخدمات المقدمة لمحتاجيها، لا سيما في فترة الشهور الماضية بعد الحملة العسكرية على محافظة إدلب من قبل قوات النظام السوري وحلفيته روسيا، وفيما ترجع الكثير من الجمعيات والمنظمات المحلية سبب قصورها إلى تراجع الدعم المادي المقدم من الجهات الداعمة، تعزو المنظمات الدولية ضعف آدائها إلى سببين رئيسيين، الأول يعود إلى الوضع الأمني الخطر وما تواجهه مراكزها من قصف، بينما يشير الثاني إلى سيطرة هيئة تحرير الشام على المنطقة وتخوف تلك المنظمات من وقوع مساعداتها في يد التنظيم المصنف إرهابيا.

منظمات دولية تعلق عملها

ومنذ بداية الهجمة العسكرية في شهر أيار من هذا العام، علقت عدة منظمات إغاثية أنشطتها في مناطق التصعيد بإدلب، من بينها برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة.

وقال مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية إن: "بعض المنظمات علقت أنشطتها بعدما تدمرت مقارها أو طالتها الأضرار أو باتت غير آمنة". في خطوة لحماية العاملين لديها، مضيفا أن أكثر من ١٦ شريكا في العمل الإنساني قد علقوا عملياتهم في المناطق المتأثرة بالنزاع، مشيرا إلى مقتل عدد من العاملين الإغاثيين جراء الغارات الجوية على مراكزهم.

كما أكد المتحدث باسم برنامج الأغذية العالمي أنه "يواصل البرنامج وشركاؤه الاستجابة بأغذية جاهزة ووجبات ساخنة عندما يسمح الوضع الأمني بذلك. ولكن في المناطق التي تأثرت فيها البنية التحتية بالعنف، تم إجلاء موظفي الشركاء في العمل الإنساني، كما تضررت البنية الأساسية لتقديم الخدمات أو دمرت".

يأتي هذا في ظل تقاعس دولي بسبب سيطرة هيئة تحرير الشام، التي سبق وأن استولت على شحنات إغاثية ومارست الخطف والاعتقال بحق أفراد عاملين في المجال الإغاثي فضلا عما تشكله من حجة لقوات النظام وروسيا لقصف المناطق الخارجة عن سيطرتهما.

منظمات محلية تشكو "غياب الدعم"

تشكو معظم المنظمات المحلية من تراجع الدعم الدولي لها وخصوصا في السنوات الأخيرة بعد سيطرة قوات النظام على معظم مناطق المعارضة.

وفي حديث لزيتون يشير مؤسس جمعية شموع الغد محمد صادق إلى عدم رضاه عن عمل الجمعية، اذ ما زال لديهم الكثير من الأفكار التي لم تستطع الجمعية تنفيذها بسبب غياب الدعم، وعدم قدرتهم في الظروف الحالية على إنشاء مراكز تعليمية وعلاجية تقدم خدماتها للأطفال في المجتمعات العشوائية ومخيمات النازحين.

ووفق صادق فإن المنظمات العاملة في المنطقة تفتقر إلى التعاون فيما بينها نظرا لما تملكه كل منها من مشاريع خاصة ومستقلة بها، دون توفر إطار ينسق ما بين تلك الجهود ويدفعها للتكامل.

وتهتم جمعية شموع الغد والتي تأسست في نيسان ٢٠١٦ بهدف دعم رياض الأطفال بالجانب النفسي للأطفال وذويهم وخصوصا النازحين، وتضم بحسب مديرها ثلاثين روضة تضم حوالي ٣٠٠٠ طفل و٢٤٠ معلمة.

من جانبه يقيم مدير مركز براعم التابع لمنظمة سيريا ريليف أحمد عبد المجيد الأستاذ محمد عملهم بنسبة ٧٠٪، مرجعا تقصيرهم في العمل إلى الظروف الأمنية وصعوبة الوصول لبعض المستفيدين، فضلا عن حجم النازحين الذي فاق قدرة المنظمات المحلية عن تلبية حاجاتهم، لافتا إلى محدودية الدعم المادي الذي يتلقونه.

وكانت منظمة سيريا ريليف قد بدأت في عام ٢٠١٣ بالعمل الإغاثي ليتطور عملها وتتبنى مشاريع توعوية وتعليمية تستهدف الأطفال في كامل المناطق الخارجة عن سيطرة النظام، قبل أن تنحسر مناطق نشاطها لتقتصر على محافظة إدلب.

وترى مديرة قسم التواصل في شبكة حراس "ليلى حسو" أن جميع الجهات والمنظمات تبذل أقصى جهدها لتخفف من معاناة النازحين، لكن التمويل غير موجه لحالات الاستجابة الطارئة.

وتضيف حسو أن المخصصات المقررة من قبل الأمم المتحدة غير كافية لأعداد النازحين نظرا لضخامة موجة النزوح الأخيرة، ويقوم برنامج الأغذية العالمي شهرياً بتوفير حصص غذائية للأسر لما يزيد عن ٤ ملايين شخص من المشردين والمتضررين من النزاع في "جميع أنحاء سوريا"، تكفي كل حصة لإطعام عائلة مكونة من خمسة أفراد، في البلدان المجاورة، يدعم برنامج الأغذية العالمي اللاجئين السوريين والمجتمعات المضيفة الهشة بالقسائم الإلكترونية بحسب برنامج الأغذية العالمي.

وكانت شبكة حراس قد تأسست عام ٢٠١٣ بهدف تلبية الحاجات الملحة التي فرضها الواقع السوري، ولتحييد الأطفال السوريين عن النزاع وتوفير الحماية والرعاية النفسية والاجتماعية لهم، والتزمت الشبكة بالوجود في أشد مناطق الصراع توتراً بهدف إيصال خدماتها بشكل مباشر للأطفال بحسب مديرة التواصل.

منظمة مساحة سلام والتي تنشط في مدينة أريحا في ريف إدلب الغربي وتركز أعمالها على إدارة حالة الطفل وتقديم جلسات توعية ودعم نفسي للأطفال تؤكد على رضاها حول عملها وذلك في حديث لمستشارة العنف في المنظمة "صفاء كريدي" لزيتون قالت فيه إن المنظمة تقدم كل ما تستطيعه لرعاية الأطفال، رغم الوضع الأمني المعيق لعملهم.

وتنتشر في الشمال السوري بعض التجارب الفردية ومبادرات شبابية تسعى لتقديم خدمات ترفيهية وتوعوية للأطفال، أثبتت هذه التجارب تميزها ونجاحها، منها تجربة الناشط "وليد أبو راشد" وتأسيسه لمسرح الحارة.

ويقدم أبو راشد نشاطات ومسرحيات بمشاركة الأطفال في عدد من البلدات والمخيمات في محافظة إدلب، تعتمد على مسرحيات عرائس الظل ورسوم متحركة، كما يقدم عروض أفلام تربوية عبر أجهزة الإسقاط بشكل يحاكي العروض السينمائية.

ما تزال المأساة مستمرة فيما تتفاقم الكارثة مع اقتراب الشتاء، لتعود مشاهد ارتعاش الأطفال المبتلين تحت المطر تغزو مواقع التواصل الاجتماعي، في تكرار سنوي، ليتساءل الكثير من النازحين العالقين تحت شجر الزيتون مع أطفالهم، عن معنى غياب الجهات المعنية برعايتهم في هذا الوقت الذي يشهد طوفانا من النزوح البشري لم يسبق له مثيل.

أيادي عمل صغيرة ورخيصة

تبدو الطفلة «أمل» التي لم تتجاوز العاشرة من عمرها مثقلة بالهموم والأحلام وهي تتحدث عن رغبتها في أن تدرس وتلعب، لكن الظروف المحيطة بها حرمتها من هذا الحق لتجد نفسها مضطرة للعمل في بيع القهوة في شوارع إحدى بلدات ريف إدلب، بعد أن هُجرت برفقة والدها المريض وشقيقتها الصغرى من ريف حلب.

زين عباس

تحمل الطفلة إناء القهوة وتتجول في أسواق مدينة سراقب، تعرضها على المارة وأصحاب المحال لبيعها والحصول على بضع ليرات تساعدهم على الحياة، سنواتها العشر لم تمنعها من الشعور بالمسؤولية اتجاه والدها وشقيقتها، بعد تخلي والدتها عنهم وسفرها للخارج لأسباب تجهلها الطفلة.

«سعد الديري» طفل في الثالثة عشرة من عمره، نزح مع عائلته من دير الزور منذ سنوات لينتهي به المطاف في ريف إدلب، دفعت الحالة المادية للأسرة لعمل سعد ومساعدة والده في تأمين مستلزمات حياتهم.

على بسطة خضار في زاوية أحد الشوارع يقف سعد منذ السادسة صباحاً حتى وقت متأخر من النهار، وقد يمتد أحيانا إن لم يحالفه الحظ في البيع إلى ساعات الليل، يحصل خلالها على فترة استراحة للغداء ثم العودة ثانية للعمل.

يقول سعد لزيتون بصوت يحمل قلق بالغ: «نضطر للبقاء لمدة طويلة على أمل أن نبيع خضارنا، لكن غالبا ما يبقى لدينا الكثير منها، فننقلها لمنزلنا ثم نعود في اليوم الثاني لعرضها للبيع ما يقلل من ربحنا ويزيد من تعبنا».

لا يذكر سعد مدينته في دير الزور، فقد كان صغيرا حين غادرها، لكنه يحلم بالعودة إليها وأن يعيش كباقي أطفال العالم: «أتمنى أن أرتاح من صعوبة العمل، فصناديق الخضار ثقيلة ونضطر لتحميلها أكثر من مرة، خاصة وأن والدي يعاني من مرض في ظهره ولا يقوى على الحمل».

يرى الطبيب المختص بالتربية وعلم النفس «عبد الحي المحمود» أن ظاهرة عمالة الأطفال تنتشر في المجتمعات التي تعاني من الحروب والفقر، وشهدت سوريا وخصوصا في المناطق المحررة تنامي مخيف لهذه الظاهرة حتى تصدرت المشاكل الاجتماعية في المحرر، يقف خلف تناميها تراجع مستوى دخل الفرد، وتفاقم البطالة، وانهيار الكثير من المهن والأعمال، فما يقارب ٩٠٪ من دخل الأسر في المحرر غير كاف، وبالتالي فكثير من الأسر تدفع بأطفالها إلى العمل لمساعدتهم على العيش.

ويضيف المحمود لزيتون: «**يزيد من تدهور الحالة المعيشية للأهالي عدم الاستقرار السياسي والأمني وما يرافقهما من نزوح وتشرد للسكان يستنزف أخر ما يملكون**».

ولا تقتصر نتائج عمالة الأطفال على الأضرار النفسية والجسدية وحرمانهم من للتعليم والاستغلال الجنسي في بعض الأحيان، بل تتعداها إلى مشاكل أكبر، إذ يعتبر زواج القاصرات أحد نتائج عمالة الأطفال، وتسعى الفتيات في سن الطفولة إلى التخلص من عملهن في المزارع والحقول عن طريق الزواج المبكر.

كما يشير الطبيب إلى خطر تجنيد الأطفال الناتج عن بحث الأطفال عن عمل يكسبون منه قوتهم، وهو ما يؤمنه لهم الانخراط في صفوف الفصائل المقاتلة.

وتترك عمالة الأطفال آثارا بالغة الخطورة بحسب رأي الطبيب النفسي، تزيد هذه الآثار في حالة الأطفال ذوي الإمكانات العالية، والذين يدركون حقيقة ظرفهم وحرمانهم من حقوقهم كأطفال، قد تصل هذه التأثيرات إلى أمراض نفسية خطرة.

ويلفت الطبيب إلى أن من أهم المؤثرات على شخصية الطفل الناتجة عن العمالة المبكرة هو حرمانه من التعليم الذي بدوره يؤثر على مقدراته العقلية والاجتماعية وما يرافقهما من مهارات اجتماعية وسلوكية، ومن الملاحظ عدم استقرار شخصيات الأطفال العاملين، منوها إلى دور المنظمات المدنية في دعم الطفل وحمايته من العمل المبكر وذلك عبر تقديم المساعدات لأسرته مقابل عودته إلى المدرسة.

ورشات إصلاح السيارات والحدادة التي تتركز في بالمناطق الصناعية وتكون غالبا على أطراف المدن والبلدات، تستهلك الكثير من الأطفال تحت سن السادسة عشر، في وسط قاس، تتم فيه معاملة الأطفال بشكل سلطوي وقمعي وغالبا ما يتعرضون للضرب، كما يتعرضون للكثير من التنمر اللفظي والجسدي.

كما يتحمل الأطفال في تلك الورش مخاطر التعامل مع الآلات الحادة وقطع الحديد وعمليات اللحام وأضرارها على العين، والإصابات التي يتعرضون لها نتيجة انعدام الشروط الآمنة للعمل واستهتار أصحاب الورش بسلامتهم.

يغطي السواد وجه الطفل مجد ويديه فيما ثيابه مشبعة ببقع الشحم والزيت وبين نبرات صوته يظهر الشقاء والتعب وهو لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره: «أعمل منذ ثلاثة أعوام في المنطقة الصناعية، يبدأ عملي من الساعة السابعة صباحاً وحتى السابعة مساءً، تركت المدرسة بعد وفاة والدي للعمل ومساعدة أمي في تأمين مصروف البيت».

ويضيف مجد: «أذهب وأعود إلى عملي مشيا على الأقدام وهي مسافة بعيدة وتستغرق مني أكثر من ساعة، في كثير من الأحيان أضطر للمشي تحت المطر أو في الحرارة المرتفعة لكنني مجبر على العمل».

«محمود الهوير» وهو صاحب ورشة لصيانة السيارات في المنطقة الصناعية في إدلب يعزو سبب رغبة الأهالي في تشغيل أطفالهم في أعمال صعبة إلى الحالة المادية المتدهورة للأهالي، وحاجتهم لمدخول إضافي لسد مستلزماتهم، كما يرى أن توقف الدراسة وتسرب الأطفال من المدارس لا يترك الكثير من الفرص لهم ويجبرهم في نهاية المطاف على البحث عن عمل ما».

ويضيف الهوير: «المنطقة الصناعية تؤمن فرصة لتعلم مهنة قد تساعد الطفل على مزاولتها طوال حياته، رغم ما يتخللها من مخاطر وحوادث مؤسفة».

ويؤكد الهوير على أن الكثير من أصحاب المحال يتعاملون بقسوة بالغة مع الطفل المتعلم وذلك بهدف تعليمه المصلحة بسرعة.

ترجع «أم حسن» وهي سيدة من معرة النعمان لم ترغب بذكر أسمها، سبب إرسال ولدها البالغ من العمر ١٤ عاما للعمل في محل لبيع اللحوم إلى وضعها المادي السيئ لا سيما في السنوات الأخيرة وتراجع مدخول زوجها الذي لم يعد يكفي لتغطية النفقات.

وتشعر أم حسن بالألم على ما لحق بطفلها من بتر أصابع يديه في العمل بسكين جراء تقطيع اللحم».

تزداد طريقة تعامل أرباب العمل مع الأطفال العاملين قسوة كلما ساءت الظروف أكثر، ويقوم البعض منهم باستغلال صغر سن الأطفال وحاجتهم المادية لزيادة الإهانات اللفظية والجسدية، بحجج مختلفة منها أنه يريده أن يصبح صاحب مهنة وأن **يتعلم بسرعة، مقابل أجر زهيد يتقاضاه الطفل مهما كانت ساعات عمله طويلة وخطرة.**

ولا تبدو المهن مهما كانت قاسية أو بسيطة سهلة على الأطفال، فالكثير من الأطفال النازحين يعملون في بيع البسكوت أو المناديل الورقية في الطرقات، ومنهم من تجده يعمل في جمع البلاستيك والكرتون والحديد وغيرها من حاويات القمامة، ما يؤثر على سلامتهم النفسية وشعورهم بالدونية أمام أقرانهم.

لا توجد إحصائيات دقيقة لعدد الأطفال الذين يعملون في الشمال السوري إلا أن تقريراً للأمم المتحدة قدر نسبة الأطفال العاملين بـ ٢٠ ٪ مقارنة بـ ١٠ ٪ قبل عام ٢٠١١

ظاهرة عمالة الأطفال ليست بالجديدة في المجتمع السوري، لكنها ارتفعت بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة بسبب زيادة الفقر والنزوح أوبسبب فقدان الأب إما باستشهاده أو باعتقاله. تفيد تقارير إعلامية بأن عدد الأطفال الأيتام يزيد عن ٨٠٠ ألف طفل ٩٠٪ منهم ليس لديهم من يكفلهم ما يضعهم أمام الحاجة إلى العمل.

وتحاول بعض منظمات العمل المدني العمل على زيادة الوعي بين الأهالي حول مخاطر تشغيل الأطفال وضرورة حصولهم على التعليم، لكن تجد هذه المنظمات نفسها أمام مشاكل حقيقية تكمن في استمرار الأسباب المؤدية إلى عمالة الأطفال، ولا يجد الأهالي بديلا عن عمل أطفالهم رغم معرفتهم بما يتعرض له أطفالهم من خسارات.

يبقى الحل الأمثل هو في القضاء على السبب الرئيسي لعمالة الأطفال، متمثلا بنظام الأسد، المسؤول عما حل في سورية من خراب ودمار، نال الطفل حصة الأسد منه.

طرف صناعي.. عودة الحياة لمن فقدوا أطرافهم

على الطريق الطويل الممتد بين الرقة وحلب داخل السيارة التي تسابق القدر المخيف، كانت الألسن تدعو ربها أن تنتهي مسافة الموت وتصل إلى بر الأمان، وبينما كانت تلك القلوب الصغيرة تستشعر الخوف في عيون والديهما ظلت تستجدي الحصول على الأمانفي حضن أمهم.

فاطمة الحسن

الطيران في السماء لا يغادرها والقصف العنيف الذي تتعرض له الرقة يجعل الموت ينتشر في كل زاوية،ما دفع السيد «عبد الحميد شعبان»والد ماريا للهرب مجدداً بعائلته، في نزوح عكسي، بحثاً عن الأمان، بعد أن دفعته الظروف القاسية في حلب للنزوح منها إلى الرقة في عام ٢٠١٣.

في شهر آذار من عام ٢٠١٧ تفاقم الوضع في الرقة حتى بات مرعباً، فقرر النزوح ثانية إلى منبج، لكنه لم يدرك أن الطيران الذي يستهدف المدنيين بكل وحشية في الرقة، سيجعل من سيارة الأجرة التي استقلها مع زوجته وطفلته الصغيرة ماريا وإخوتها الثلاث هدفاً للصواريخ.

قتل جميع من في سيارة الأجرة بمن فيهم السائق، إلا أن الموت أشفق على ماريا التي أصيبت وتم نقلها للمشفى وبترت قدمها،لتبدأ معاناة الطفلة ذات الأعوام الثلاثة بدون قدم وعاجزة عن المشي وحيدة وبدون عائلة.

رحلة العلاج في مركز الخطوات السعيدة

رحلة علاج ماريا كانت طويلة ومؤلمة،لكنها وجدت في زوجة عمها أماً لها ترعاها وتتابع حالتها في»مركز الخطوات السعيدة» في الشمال السوريبالقرب من معبر باب السلامة،والذي يختص بتركيب الأطرافالصناعية، وفيه تم تركيب الطرف السفلي لها، كما تابعالمختصون فيه حالتها الصحية والنفسية.

تقيم ماريا حالياً في منبج وتتمتع بحالة صحية ونفسية جيدة بعد تركيب الطرف لها وقدرتها على المشي والركض مجددا، وقد رصدت وسائل إعلام عديدة حالتها، وتم نشر مقاطع مصورة لأولى خطواتها فيما تبدو الفرحة على وجهها.

مدير مركز الخطوات السعيدة الطبيب «مصطفى النجار» أفاد لزيتون بأن ١٣ حالة يتم فيها تركيب أطراف في الشهر الواحد، وهو ما يجعل مجموع عمل المركز خلال ست سنوات منذ إنشائه في عام ٢٠١٤ وحتى الأن هو ما يقارب ٩٠٠ حالة.

موضحا أن الفترة الممتدة ما بين عامي ٢٠١٤ و٢٠١٨ شهد المركز فيها ضغطا كبيرا نظرا للحاجة المتزايدة نتيجة لانتشار الاصابات وحالات البتر، فضلا عن عدم وجود مراكز أخرى رديفة تساهم في تقديم الأطراف للمصابين.

قلة المراكز المختصة وعجزها عن تلبية الاحتياجات.

تعتمد مراكز المختصة في تقديم الأطراف على المساعدات التي تقدمها منظمات دولية وإنسانية أو منح فردية، وهو ما بدأ به مركز الخطوات السعيدة عمله عبر دعم فردي، ليستمر بعد ذلك بدعم من منظمة «الهانديكاب» العالمية، فيما يتم التوجه حاليا إلى تركيب وتصنيع الأطراف بشكل محلي من قبل العاملين في المركز.

الإنتاج والتركيب المحلي للأطراف من قبل اختصاصيين محليين ساهم في توفير بديل بتكلفة أرخص من الأطراف المقدمة من قبل المنظمات الدولية، كما أنها ضمانة لاستمرار انتاجها في حال توقف الدعم الانساني وهو ما يشير إليه النجار بقوله: «ندرك أن الدعم لا يستمر لذلك نقوم حالياً بتصنيع أقدام كربون ومفاصل هيدروليك وتقدم مجاناً».

يضم المركز فريقا من المختصين بالدعم النفسي والعلاج الفيزيائي، سعيا منه لتغطية حاجة المصاب قبل وبعد تركيب الطرف ومتابعة حالته الجسدية والنفسية.

ويرى الطبيب النفسي «سعيد عز الدين»أن الطفل الصغير يمتلك مرونة جسدية ونفسية عكس الشخص البالغ، فهو يتقبل الوضع الجديد من خسارتهلطرفه وينسجم معه، ولكنه يحتاج لإعادة تأهيل لمساعدته على التأقلم بواسطة الإرشاد النفسي والتفريغ النفسي بطرق الرسم أو التداعي الحر حيث يترك الطفل يتحدث دون تعقيب.

ويبدأ العلاج بصعوبة بسبب الحالة النفسية السيئة للطفل مع ما يرافق العلاج الفيزيائي من ألم، لا يلبث أن تظهر تغيرات على الحالة النفسية مترافقة مع بداية القدرة على حركة الطفل وتجاوبه مع العلاج، وهو ما يعيد الأمل للطفل ويدفعه للإصرار على الشفاء.

غياب الدعم الدولي يضعف عمل المراكز ويغلقها

أرقام الإحصائيات المقدمة من المنظمات الدولية تثير القلق نتيجة لضخامة عدد المصابين، ويشير التقرير الصادر عن منظمة «هانديكاب» العالمية إلى مليون ونصف سوري تعرضوا لإعاقة دائمة وأن الأطفال يشكلون ثلث مصابي الأسلحة المتفجرة في سوريا والذين وصل عددهم عام ٢٠١٧ إلى ٣ ملايين مصاب.

وقدر تقرير آخر لمنظمة الصحة العالمية عدد المصابين بإعاقة دائمة بمليون ونصف سوري، مليون منهم من الأطفال، فيما بلغ عدد الذين بتر أحد أطرافهم ٨٦ ألفا.

فيما تشير تقارير حقوقية صادرة عن الشبكة السورية لحقوق الإنسان ومنظمات أخرى إلى أن قوات النظام السوري هي المسؤول الأول عن هذه الإصابات بنسبة تصل إلى ٩٠ بالمئة فيما تتحمل الأطراف الأخرى مسؤولية الباقي.

ونتيجة لذلك فإن النسبة الأكبر من الحالات تتواجد في المناطق المحررة التي تشهد منذ سنوات عمليات قصف وتدمير، وفي ذات الوقت فإن المنطقة الشمالية ومحافظة إدلب تحديدا ذات الكثافة السكانية الكبيرة بعد تهجير أعداد كبيرة من السوريين إليها، تفتقر إلى المراكز المختصة بتركيب الأطراف وصعوبة متابعة عملها في ظل غياب الاهتمام اللازم من المنظمات والجهات الدولية سوى في حيز محدود ومؤقت.

ففي عام ٢٠١٩ تم افتتاح مراكز صحية لتركيب الأطراف من قبل بعض المنظمات ولكن تم إغلاق بعضها بسبب توقف الدعم وعدم القدرة على متابعة العمل، وهو ما أكده الصيدلاني «حسن جلول» مدير مؤسسة «الأمل» لذوي الاحتياجات الخاصة في ريف حلب الغربي، مشيراإلى صعوبة العمل بسبب قلة الدعم من المنظمات الدولية وكثرة الحالات التي فقدت أطرافها من مختلف الأعمار.

«جلول» الذي يشارك المبتورين معاناتهم نتيجة كونه مبتور الأطراف والذي شكل لديه دافعا قوي لافتتاح المؤسسة وتقديم العون للمصابين، يوضح أن المراكز الموجودة غير كافية لتلبية الاحتياجات، إضافة إلى صعوبة تأمين الأطراف الصناعية من الخارج، وقد ساهمت مؤسسة الأمل بتقديم أطرافلـ ٥٠ حالة بتر.

ومن بين الحالات التي تمت مساعدتها الطفل «بسام تركماني» من ريف حلب ذو السنوات الثلاثة والذي فقد ساقه اليمنجراء إحدى غارات الطيران الحربي على منزلهم، ويتلقى «بسام» العلاج حالياً في مؤسسة أمل بعد تركيب طرف له وتدريبه على المشي والحركة باستخدام الطرف الصناعي.

أما الطفل محمد /١٢/ عاماً من ريف إدلب، لم يجد من يساعده بعد فقدانهليده اليمنى إثر قصف طائرة حربية استهدفت حيه قبل نحو عام أثناء اللعب مع رفاقه، ويقول بأنه يعاني اليوم من الحزن والعجز بسبب فقدان يده وعدم قدرة عائلته على تأمين طرف له لذلك يساعده إخوته للقيام بأي عمل.

الطفلة إسلام الصدير
قتلتها قوات النظام في قصف مدفعي على مدينة معرة النعمان جنوبي إدلب.

زيتون عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع